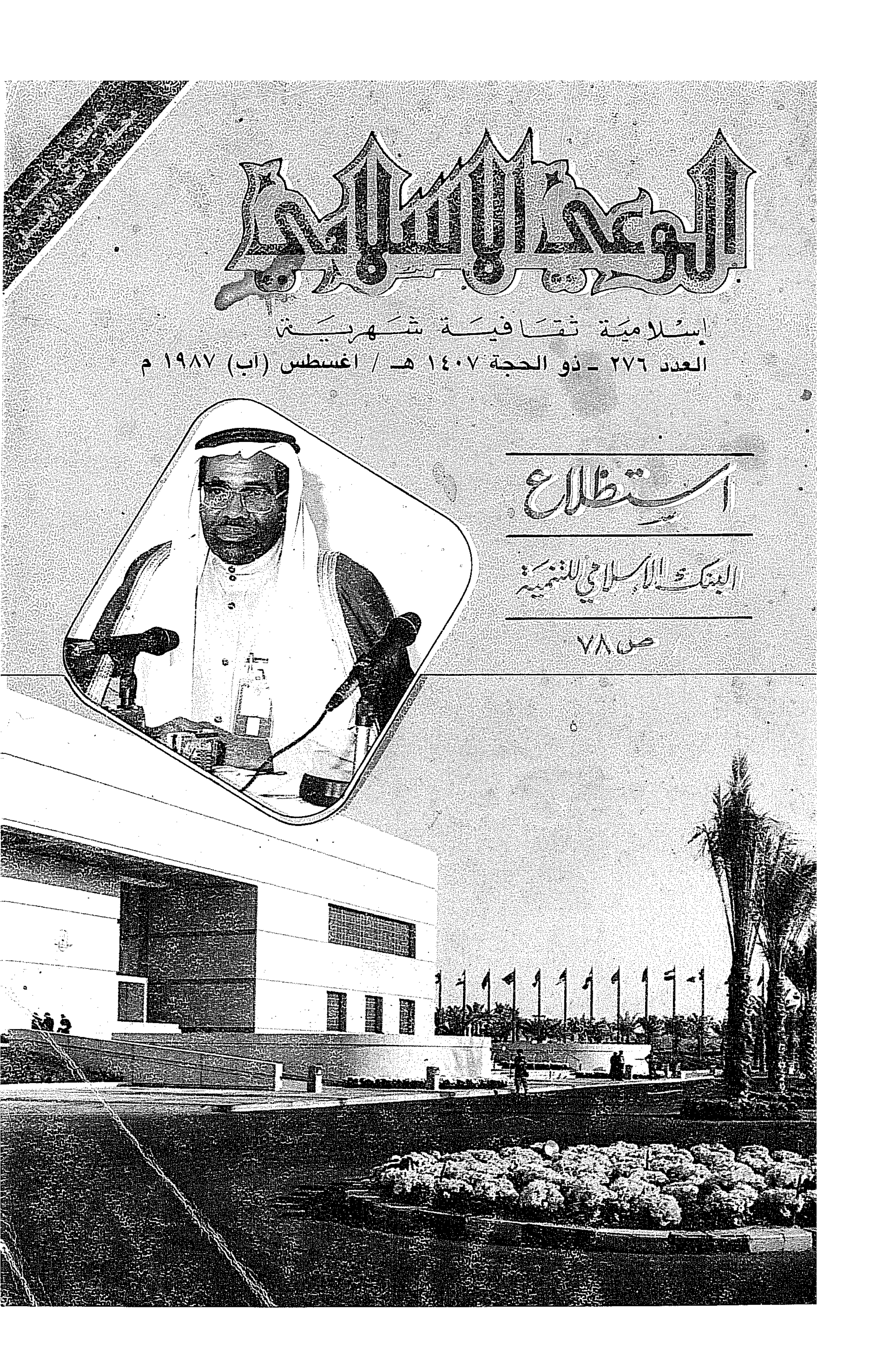

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٧٦ ـ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ / اغسطس (آب) ١٩٨٧ م
استطلاع
البنك الإسلامي للتنمية
ص ٧٨



محتويات العدد



AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٧٦ ـ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ / اغسطس (آب) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقــاف والشئـــون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المـزيد من الــوعي ،

وايقــاظ الــروح ،

بعيدا عن الخــلافــات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرزمز البريدي 13097

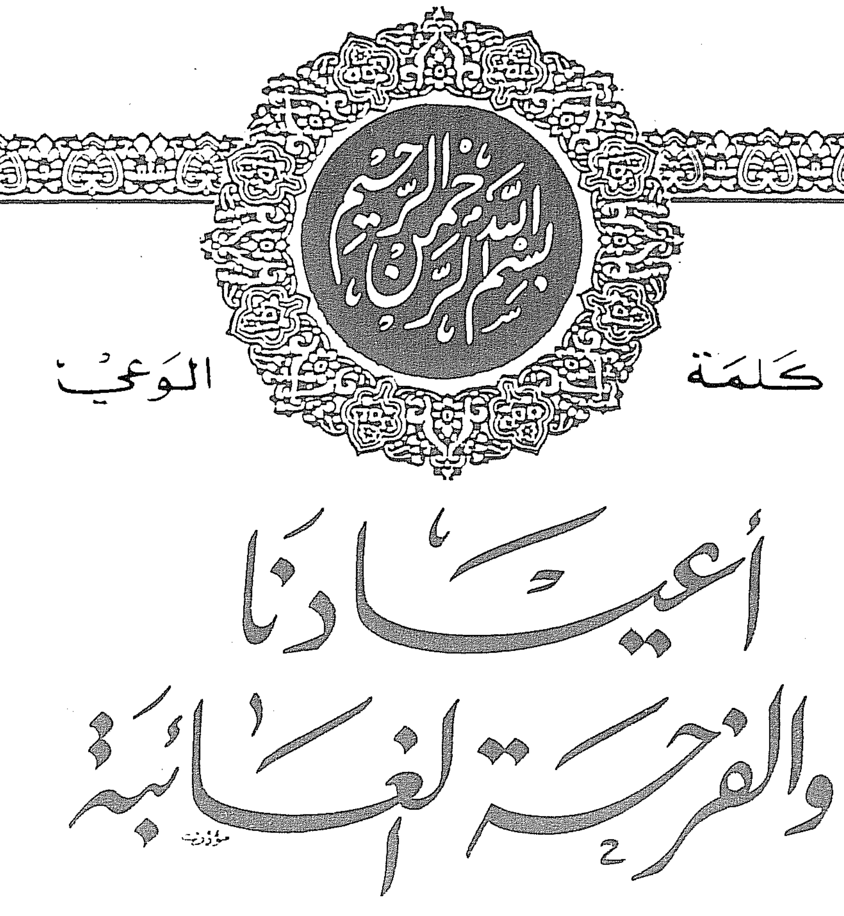
هاتف ٢٤٢٨٩٣٤ـ٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	٢٠٠ فلس
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم

ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



لم يكد النبي صلى الله عليه وسلم يستقر بالمدينة ، حتى وجد الأنصار يلعبون في يومين ورثوا اتخاذهما عيدين ، فقال لهم : « قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر » وبذلك أبطل يومي الجاهلية .

كان أهل المدينة قبل الاسلام يتخذونهما عيدين ، عيد النيروز . وهو أول يوم تتحول فيه الشمس إلى برج الحمل ، وعيد المهرجان . وهو أول يوم تتحول فيه الشمس إلى برج الميزان ، وذلك كراهية للتنويه بتقديسهما ، والإبقاء على مظهر من مظاهر الشذوذ العقلي ، وعين لهما يومين لهما أثر في تهذيب النفوس وارتباط القلوب ، وقوة الدوافع الانسانية في المجتمع المسلم ، هما يوم الفطر ويوم الأضحى ، كلاهما يوافي المسلمين بعد أداء ركن هام من أركان الاسلام ، ، فعيد الفطر يعقب فريضة الصوم ، وعيد الأضحى يعقب فريضة الحج ، وكلا الركنين تربية على البر والتقوى ، وتنمية

لعواطف الايثار والتكافل والمواساة والتراحم ، ولذا صاحبهما صدقة الفطر والأضحية ، لتنطلق النفس من قيود الأثرة والأنانية ، في عيد الفطر يفرح الصائم فرحة القيام بواجب الطاعة والامتثال لأمر الله ، وقد صام عما حرم الله ، وأفطر على ما رزقه الله ، يفرح للفوز بجائزة ربه ، وهي في قيمتها فوق كل الأثمان والمعايير ، روى سعد بن أوس الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : أغدو يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك في السماء يوم الجائزة » وفي عيد الأضحى تتجدد الفرحة بيوم تمام البناء الاسلامي وإكماله كما قال تعالى في كتابه : (**اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) في الآية/٣ سورة المائدة .

ورد بأن أحد اليهود دخل على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقال بأنه « كعب الأحبار » وكان على يهوديته وقال ـ لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لاتخذوا يوم نزولها عيدا يجتمعون فيه ، فقال عمر رضي الله عنه : أي آية يا كعب ؟ فقال : اليوم أكملت لكم دينكم .... ، فقال أمير المؤمنين عمر قد علمت اليوم الذي نزلت فيه ، كان يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد ..

مع استقبال عيد الأضحى يقام احتفال في أرض النور بمناسبة الانتهاء من شعائر الحج ، ويتقرب المسلمون بالأضاحي في كل أطراف العالم الاسلامي ، تذكيرا بالفداء الذي نجى الله به اسماعيل عليه السلام وكانت نجاته مصدر خير ورحمة للعالم كله ، حيث جاء من نسله النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . ولما كان العيد وقفة سنوية في مسيرة الأمة ، تزيل ما علق بالنفوس من

ضغوط نفسية ، وما طرأ عليها من هموم الحياة وأحزانها ، راعى الاسلام الجانب المادي في الانسان المسلم فأعطاه حق التمتع بالحلال الطيب من غذاء وكساء ، ومتعة بريئة لا تخدش الفضيلة ولا تجرح الحياء ، وهو في فترات تطلعه للاستمتاع المشروع ، راعى الاسلام الجانب الروحي ليظل المسلم مرتبطا بربه في أيام سروره وزينته ، وفي ذلك عون له على طغيان الشهوة ومداخل الانحراف ، حتى في الكلمة التي يملأ بها فراغ أيام العيد ، لا بد فيها من التكبير والتهليل والاقرار بأن الله أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم وأنه لا حمد إلا لله رب العالمين ، وصدق الله العظيم **(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)** الآية/٩٣ سورة المائدة .

هذه رسالة الأعياد وتلك الهاماتها ، في ظلال معانيها السامية تتصافح الأيدي بعد انقباض ، وتتلاقى القلوب على الحب بعد إعراض ، ويتجدد العهد الصادق على نبذ الخصام والبغضاء ، والتمكين لعودة الأمن والسلام من جديد ، فلا تكون الأعياد قاصرة على المظهر المادي ، نلبس فيها الجديد ، ونسعى أيامها وراء اللهو غير البريء ، إذ من العار أن نلهو ونلعب ومقدساتنا يدنسها عدو غادر فاجر .

لا فرحة بالعيد وفي لبنان وفلسطين خيام محاصرة .. بين زواياها شيخ يستجمع بقايا نفسه ، ويتيم ضائع وأم ثكلى تقضي أيامها في بكاء وعويل .

لا فرحة بالعيد ، وحرب الخليج أراد لها الاستعمار أن تطول ، ووقف العالم حيالها بين داع للسلام وساع بالصلح ، عسى أن تفيء الطائفتان إلى أمر الله ، وعسى أن يعود الصفاء من جديد ، وبين مسعر لها ، يشعل جذوة نارها بكل وسائل الحقد الكافر والتخطيط المدمر ومن غير رحمة تسهر الجبهات المعادية ، على إثارة الفتن وإراقة الدماء ، ومواصلة التخريب والدمار ، وعلى مدى سبع سنين

يشتد الصراع عاما بعد عام ، ، مما جعل عدد الضحايا والشهداء يفوق في حسابه ما سجله التاريخ من دمار في الحرب العالمية الأخيرة وفجيعة الأمة في محنتها القاسية ومأساتها الدامية تتمثل في حرب تدور رحاها بأيد مسلمة ، وتذهب ضحيتها نفوس بريئة من شعبين ارتبطا من قديم بحسن الجوار ، ووحدت بينهما عقيدة الاسلام .

وفي هذا الجو المضطرب تمضي سبعة أعوام كأنها في حساب الزمن سبعة قرون ، وتتوالى الأعياد في المنطقة العربية والساحة الاسلامية كأنها مأتم جللها الحزن بالسواد !

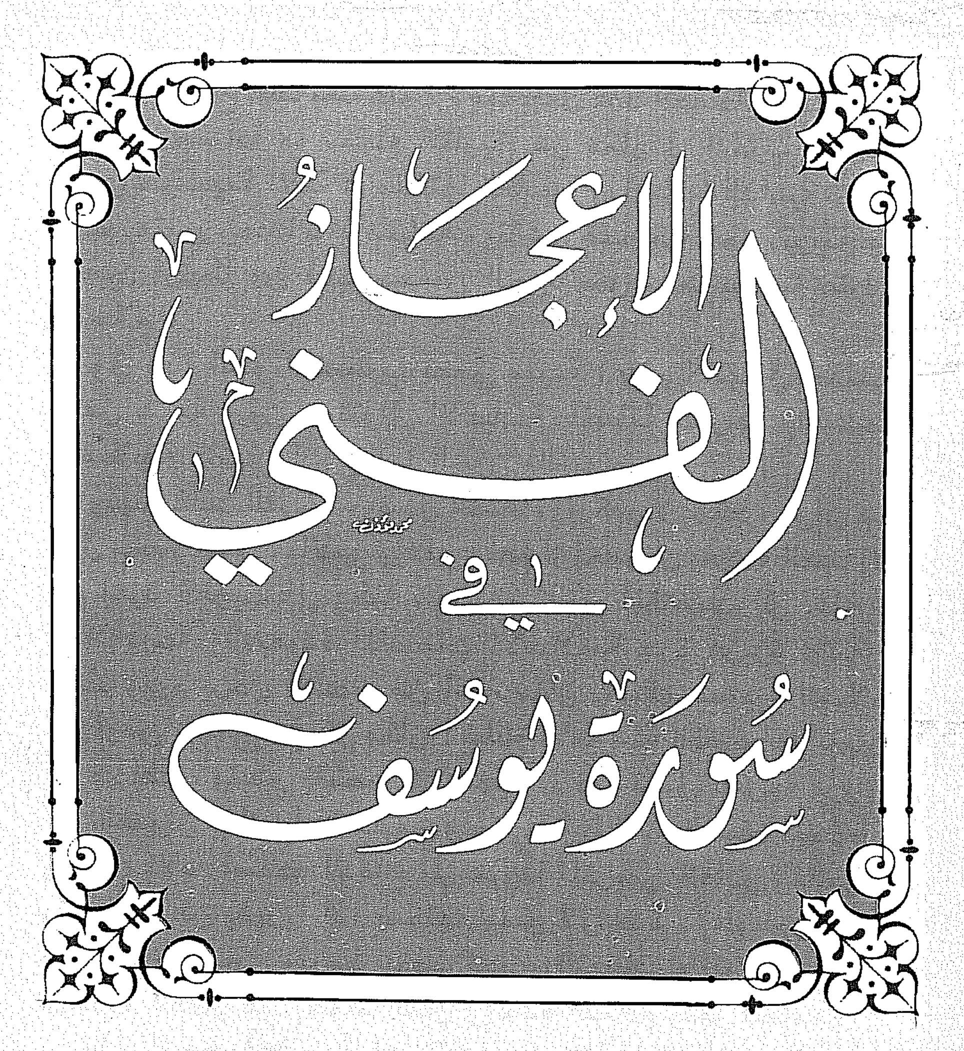
وبهذا غابت الفرحة ، وتبدل الصفاء إلى كدر لا يحتمل ، وإلى هم ثقيل يعصر القلوب بالأسى والألم ، نعم لا إحساس بفرحة العيد إلا يوم يعود الغريب إلى وطنه ، ويرجع الحق المغتصب إلى أهله .

لا فرحة إلا بعودة المقدسات الاسلامية حرة عزيزة غالية ، يومئذ ويوم يرحل الإلحاد من أفغانستان وتنطلق مسيرة السلام على أرض الخليج وفي كل مكان ؛ تطبع الأمة قبلة التقدير على جبين كل مجاهد ، وتبشر بالنصر كل شهيد .. نعم تكمل الفرحة بزوال آثار العدوان في كل بلد اسلامي وعربي ، إذا التأم الصف المسلم ، وأدارت الأمة أسلحة الدفاع الى عدوها المتربص الغادر ، فالعرب والمسلمون لن يقهروا اذا ضمتهم مسيرة واحدة ، يعلو فيها نداء الأخوة والتناصر ، ويربط بينهم الحب والتعاطف والتراحم في ظل الاسلام القادر على إخماد الفتن وإعادة السلام وقهر الطامعين .

إن المحنة العارضة لن تقضي على الأمل في عودة الصفاء والتلاحم بل كلما اشتدت ضراوة الأحداث اقترب موعد الفرج بعد الكرب ، ودائما يطلع الفجر الصادق بعد ظلام مخيف ، يومئذ تعود فرحة طال غيابها ويومئذ تكون لنا أعياد في الأرض وأعياد في السماء ويفرح المؤمنون بنصر الله .

رئيس التحرير

حسن منّاع



للدكتور/ محمد عبدالمنعم خاطر

يظهر ذلك أول ما يظهر في البداية الكريمة « **الر** » ، في تلك الحروف المتقطعة التي دأب القرآن في كثير من سوره على البداية بها ، فمنها ومن أمثالها تتكون ألفاظه ، وعباراته ، وسوره وهي قائمة تتحدى ، يدل على ذلك تعقيبه على تلك الحروف بقوله : (**تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**) يوسف / ١ ـ ٢ .

ثم بدعواه التي طرحها للتحدى بما تحمل من أبعاد فنية لم تكن قد تبلورت بعد على مستوى الآداب العالمية ، دعوى أحسن القصص ـ وهذه ـ الدعوى هي

مجال دراستنا ـ مستخدما أفعل التفضيل على عمومه تأكيدا للتحدى . (**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف ـ ٣**

ليخلص بسرعة إلى عرض قصة يوسف بأبعادها الفنية الرائعة الرائدة ، وأعماقها الانسانية ، وأهدافها النفسية والاجتماعية ، غير مغفل سبل العظة والاعتبار ، وعوامل التبصر ، وبخاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر بعام الحزن ، ويعاني من الحزن بعد موت عمه أبي طالب ، وزوجه السيدة خديجة .

ويبدأ على الفور بتوضيح العقدة الرئيسية في القصة متمثلة في حقد الشبان من الابناء على أخيهم الأصغر غير الشقيق المستحوذ على عطف الأب وحنانه ويصل الحقد إلى لون من التآمر .

وبداية القصة ببداية العقدة لون من التعبير الفني الممتاز ، فهو يضع القارىء ، وبسرعة أمام المشكلة الرئيسية ، ويستحوذ عـلى انتباهـه وكل أحاسيسه .

وعرض العقدة هنا لا يسير في اتجاه بسيط أو خط مفرد ، وإنما يأخذ طابع الفن المركب الذي تتداخل فيه وسائل الرمز والحلم والتنبؤ ، والأماني الطيبة من جانب يوسف ، وعوامل الخوف والتوجس من جانب الأب ، وبداية المؤامرة من جانب الإخوة .

(إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم * لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين) يوسف ٤ ـ ١٠

وهكذا تتعقد الأحداث من بداية القصة : تتشابك وسائل الرمز ، وعوامل الخوف ، وبداية المؤامرة .

وانطلاقا من تعقد الأحداث تأخذ القصة في التسلسل في اتجاه واحد معتمدة على الشخصية الأولى: شخصية يوسف ، ومرتكزة على منعطفات مصيرية أربع لهذه الشخصية ، كان لها أثرها في تطور الأحداث لتستقيم بعد ذلك في خط مستقيم صاعد .

المنعطف الأول : إلقاء يوسف في الجب .
المنعطف الثاني : بيع يوسف في مصر .
المنعطف الثالث : قدرته على تأويل الأحاديث والرؤيا .
المنعطف الرابع : قيامه بما عهد إليه من أمر التبليغ والرسالة .
يجمع كل ذلك في ايجاز بليغ رائع قوله تعالى : **(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف ـ ٢١**
ولنأخذ في تفصيل ذلك .

١ ـ إلقاء يوسف في الجب هو قمة المؤامرة ، وهو في الوقت نفسه بداية تحول حاسم في حياة يوسف بالانتقال : من حنان الاب ، الى : حياة الرق ، أو العكس بالانتقال من حياة التواكل على الأب الى استقلال الشخصية والاعتماد على النفس .
(وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون) . يوسف ـ ١٩

٢ ـ بيع يوسف في مصر الى عزيز مصر ، وانتقال يوسف من البدو الى الحضر ، وتعرضه لمحنة الفتنة والاغراء ، وأثر ذلك في استكشاف نفسه ، واستشفاف أعماقه .
(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلَّقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يوسف ـ ٢٣
وتفضيله السجن على الخطيئة .
(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) . يوسف ٣٣ ـ ٣٤
وفي السجن تتكشف مواهب يوسف في تفسير الرؤيا .

٣ ـ قدرته على تفسير أحداث الرؤيا .
(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الاخر إني أرانى أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) . يوسف ـ ٣٦
ويفسر الرؤيا فيقول :
(يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) يوسف ـ ٤١
ثم يطلب الملك تفسير رؤياه .

(وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون* ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) . يوسف ـ ٤٣ ـ ٤٩

٤ ـ قيامه بما عهد اليه من أمر التبليغ والرسالة ، ولقد بدأ ذلك وهو في السجن حينما أعلن لصاحبيه. أن ما أوتيه من قدرة على تأويل الرؤيا ـ انما هو مما علمه الله له وأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله ، واتبع ملة آبائه : ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ثم بدعوته إلى عبادة الله الواحد القهار مبتدئا بصاحبي السجن .

(يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . يوسف ـ ٣٩ ـ ٤٠

وعلى أثر خروج يوسف من السجن ينتقل إلى خزائن الأرض ، فيقوم بأمرها ـ ويشرف على تصريف شئون المال والتموين في مصر .

(وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)يوسف٥٤ ـ ٥٥

ويأتي إخوة يوسف وقد ضاقت بهم الحال يقايضون بضاعة بطعام فيعرفهم- وهم له منكرون ، ثم يفاوضهم على أن يأتوا في المرة القادمة بأخ لهم من أبيهم ، وإلا فلا كيل لهم عنده ، ويزيد في إغرائهم فيجعل بضاعتهم في رحالهم ، ويردها إليهم .

ويفاوض الأبناء الأب الحزين على أن يأخذوا معهم أخا يوسف ويستسلم الأب بعد أن يأخذ عليهم المواثيق .

ويعرف يوسف أخاه ، ويعرفه بنفسه : **(قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون .)** . يوسف ـ ٦٩

ويحتال على إبقائه معه فيجعل كأس الملك في رحل أخيه .

(فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم * قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين * قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) .. يوسف ـ ٧٠ ـ ٧٦

ويحاول الاخوة استبدال أحدهم بأخيهم (**قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون**) . **يوسف ـ ٧٩**

ويذهب الاخوة يحملون النبأ الفاجع إلى الشيخ الكبير ، ويحملون معه المعاذير ، فيلوذ الشيخ بالصبر ، ويتذكر يوسف وقد انهكه الحزن ، ويطلب اليهم أن يذهبوا فيتحسسوا من يوسف وأخيه ولا ييئسوا من روح الله ..

ويعرفهم يوسف بنفسه ، وقد من الله عليه، ويطلب اليهم أن يذهبوا بالبشارة بقميصه فيلقوه على وجه أبيه : (**يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين**) . **يوسف ـ ٩٣**

(**ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون** *)يوسف ٩٤ ـ ٩٦

وبنهاية القصة يتكشف رمز الحلم : (**إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين** *) ، فلقد أصبح يوسف متحكما في خزائن مصر تعنو له الحياة كما تتكشف المقابلة الرائعة بين البداية والنهاية : البداية ـ الأليمة المتمثلة في القاء يوسف في الجب ، وبيعه في مصر ، وتعرضه للفتنة والسجن ، والنهاية السعيدة المتمثلة في الحرية ، وتحكم يوسف في خزائن مصر ، ولقاء الأب بالابن ، ولم شمل الأسرة وكلاهما ـ البداية والنهاية ـ تسير في خطوط متوازية مما يدل على بناء محكم ، وتصميم متقن ، وفن رائع سبق زمنه وما يزال ، تنزيل من حكيم حميد .

وسورة يوسف تهتم بعرض نماذج بشرية ، وتتلطف الى تصوير المشاعر في تدفقها الطبيعي على حسب المواقف ، وطبيعة المتغيرات النفسية بأسلوب معجز في بساطته وعمقه ، وصدق نبرته .

ويتراءى نموذج الأب العاطفي الحنون بمشاعره الأبوية الجياشة فنحس بأنه النموذج الصادق الخالد على مر العصور ، فها هوذا يوسف يقص على أبيه رؤياه فاذا بمشاعر متضاربة تفيض على لسان الأب فيها العطف ، وفيها الخوف ، وفيها التوجس والحب .

(**قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق**)

وها هم أولاء الاخوة يطلبون يوسف وقد أحسوا بخوفه عليه منهم فاذا به يصارحهم بحقيقة شعوره ويقول : (**إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**) .

وكأنه كان يوحي إليهم دون أن يشعروا بسبب معقول للاعتذار عن فقد يوسف : (**قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**) .

وها هو ذا يستقبل النبأ الفاجع فيلوذ بالصبر ويقول : (**بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**) .

ثم ها هو ذا وقد جاءوا من مصر يقولون له : (**إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون * قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل**)

وهنا يستروح يعقوب بقلب الأب رائحة يوسف فيلجأ الى الله قائلا : (**عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم**) .

وتجيش عواطفه فيتذكر يوسف بغياب أخيه .

(**وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) .

وعندما يقترب البشير حاملا قميص يوسف يحس أبوه رائحته : (**ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون * قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون**) .

ويتراءى نموذج يوسف بمشاعره البسيطة وهو يحكي لأبيه عن رؤياه ثم بمشاعره الشابة في بيت العزيز وهو يتعرض للفتنة والاغراء ، لولا أن رأى برهان ربه فيستبق الى الباب هاربا بنفسه ، ثم وهو يتعرض لاتهام كاذب ، فيلجأ الى الدفاع عن نفسه ويقف أمام الحكم من أهلها ليبرىء ساحته .

(**إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم**) .

ثم وهو يتعرض لمحنة السجن ، ثم وهو يتحكم في خزائن الأرض ، ويستقبل اخوته ، ويحتال حتى يضم اليه أخاه الشقيق ثم وهو يعفو ويصفح .

(**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**) .

وأخيرا وهو يستقبل أبويه في فرح غامر وسرور .

(**ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم**) .

وتتراءى نماذج الأخوة بمشاعرهم الحادة ، وقد أحسوا بعواطف الأب تجاه الصغير يوسف فأرادوا أن يتخلصوا منه : (**قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين**) .

ونموذج الأخ العاقل المغلوب على أمره وهو لا يستطيع أن يخرج على اجماع الاخوة فيلجأ الى التحايل لانقاذ يوسف .
(**قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**) .

كما يتراءى في شعور الجميع وقد أحسوا بتأنيب الضمير ، بل بالخزي والهوان حينما احتجز يوسف أخاه في مصر بعد أن اعطوا لأبيهم العهد والميثاق على أن يحافظوا عليه .

(... قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين) .

واخيرا يتراءى نموذج امرأة العزيز وهي سيدة تتربع فوق أرقى قمم المجتمع ترى فتاها اليافع يتحول أمامها الى شاب تتخايل في ملامحه علامات الرجولة .
فتفتن به ، فتراوده عن نفسه ، فيتأبى ويمتنع ، ويتسابق واياها الى الباب كل منهما في حركة مضادة للآخر .

هو يريد أن يهرب بنفسه من الموقف ، وهي تريد أن تستبقيه ، ويفاجآن بسيدها لدى الباب .
فتلجأ بطبيعة الحال الى اتهام يوسف . (**قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً**) .. ويستبد بها الغضب ، فتوحي بالعقوبة : (**إلا أن يسجن أو عذاب أليم**) ويدافع يوسف عن نفسه ، ويشهد شاهد من أهلها لصالحه فيبرىء ساحته ، ويتسرب الخبر الى المدينة ، ويتحدث نسوة في المدينة : (**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا**) وتحتال امرأة العزيز فتجمع النسوة على وليمة ، وتخرج عليهن يوسف ، فيفتن به .

وعندئذ نراها تعلن عليهن صدق الشائعة بعد أن خدرت أحاسيسهن برؤية يوسف قائلة لهن .. (**فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم**) .
وهذا ليس بغريب أن يحدث في مثل طبقتها .

ويحاول العزيز تغطية الموقف ، فيدفع بيوسف الى السجن ، ويستقر فيه ، وقبل أن يخرج منه يطلب تبرىء ساحته ، فيشهد النسوة ، وتشهد امرأة العزيز بتلك

البراءة : **(قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)** .

فامرأة العزيز سيدة تمثل طبقتها ، وهي نموذج صادق لتلك الطبقة . .

وأسلوب القصة في سورة يوسف يلتزم ضمير الغائب في التعبير وضمير الغائب أقدر على التغلغل في أعماق الشخصيات المتعددة ، وتقديم كل شخصية على حدة على عكس ضمير المتكلم الذي لا يتعدى التعبير عن الشخصية الرئيسية وحدها ، ثم يعجز عن التغلغل في أعماق الشخصيات الأخرى ، ولذا رأينا ضمير الغائب هنا يقدم لنا شخصيات طبيعية يتعمق في أغوارها النفسية ، ويكشفها من خلال تعرضه للقصة .

وليس معنى ذلك هو الاقتصار على مجرد السرد القصصي ، وحكاية ما جرى ليوسف وإخوته ، وإنما يتعدى هذا الى لون من التعبير الدرامي القادر على نقل المشهد الواقعي بنبضه الحي ، وحيويته الدافقة .

ولنأخذ على سبيل المثال قوله تعالى : **(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)** .

ولنتأمل دقة التعبير في قوله : **(وراودته التي هو في بيتها ...)** ـ ودلالة هو في بيتها على تهيئة جو المراودة ، وحسبك أنه في بيتها ، ولنستمع غلق الأبواب في قوله : **(وغلقت الأبواب)** .

ولنر تعبيرات الأنوثة الطاغية في تلهفها على الرجل في قوله : (هيت لك) ورد يوسف الطاهر العف ، وقد تجمعت فيه طهارة الأصل ، ونقاء الفرع في قوله : **(معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)** كل ذلك في جو مشبع بالحركة ، مملوء بالانفعالات مشوب بالتوتر . كما يتعدى ضمير الغائب مجرد الرد الى لون بارع من الحوار تناثر في جوانب السورة ، وساعد على التعبير الرائع المعجز في مواقف كان من الممكن أن تكون أكثر هدوءا وأقل جاذبية .

استمع الى حوار الاخوة وهم يتآمرون على يوسف ، وحوارهم مع أبيهم وهم يطلبون منه أن يصطحبوا معهم يوسف قبل تنفيذ المؤامرة .

(اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين * قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف

وإنا له لنا صحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون * قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون * قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) .

وتأمل هذا الاستفهام : (**يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون**) وما يحمل من تأنيب للأب ، وحث له على دفع يوسف اليهم ، وتضييق للخناق عليه حتى لا يجد سببا للاعتذار .

هذا بالاضافة الى اجتياز الأسلوب لكثير من التفاصيل والسرد وقفزة عبر الفجوات اعتمادا على خيال القارىء ، وثقة في قدرته على ملئها ، وبخاصة أمام المناظر التي يحسن أن يتمادى الخيال في تصويرها ولنتأمل على سبيل المثال تصويره لجناية الاخوة ، وقد أزمعوا أن يجعلوا أخاهم في غيابة الجب ، وكيف قفز التعبير القرآني عبر الحدث تكثيفا له ، وتهويلا لفظاعته فلم يذكر حالة يوسف في الجب اعتمادا على خيال القارىء وتنشيطا له .

(فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون * وجاءوا أباهم عشاء يبكون * قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب)

وهكذا نرى التعبير القرآني وهو يلتزم أسس الفن القصصي في زمن لم تكن هذه الأسس فيه معروفة ، ثم وهو يتغلغل في أعماق النفس البشرية في زمن لم يكن التغلغل في أعماق النفس البشرية وبهذه القدرة قد عرف ، ثم وهو يعبر عن كل ذلك بأروع اسلوب تحدى به البشر ، وصدق الله العظيم : (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء/٨٢ .

من نور الله

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون».

توفني مسلماً

والسورة كلها لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحاً في موضوعها وفي جوها وفي ظلالها وفي إيحاءاتها . بل إن عليها طابع هذه الفترة الحرجة الموحشة بصفة خاصة .. ففي الوقت الذي كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش – منذ عام الحزن – وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة ، كان الله – سبحانه – يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم – يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين – وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات : محنة كيد الإخوة . ومحنة الجب والخوف والترويع فيه . ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه ، ولا حماية ولا رعاية من أبويه ولا من أهله . ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة ، وقبلها ابتلاء الإغراء والشهوة والفتنة ! ومحنة السجن بعد رغد العيش وطراوته في قصر العزيز . ثم محنة الرخاء والسلطان المطلق في يديه ، وهو يتحكم في أقوات الناس وفي رقابهم ، وفي يديه لقمة الخبز التي تقوتهم ! ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقى بعد ذلك إخوته الذين ألقوه في الجب وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والابتلاءات كلها ..

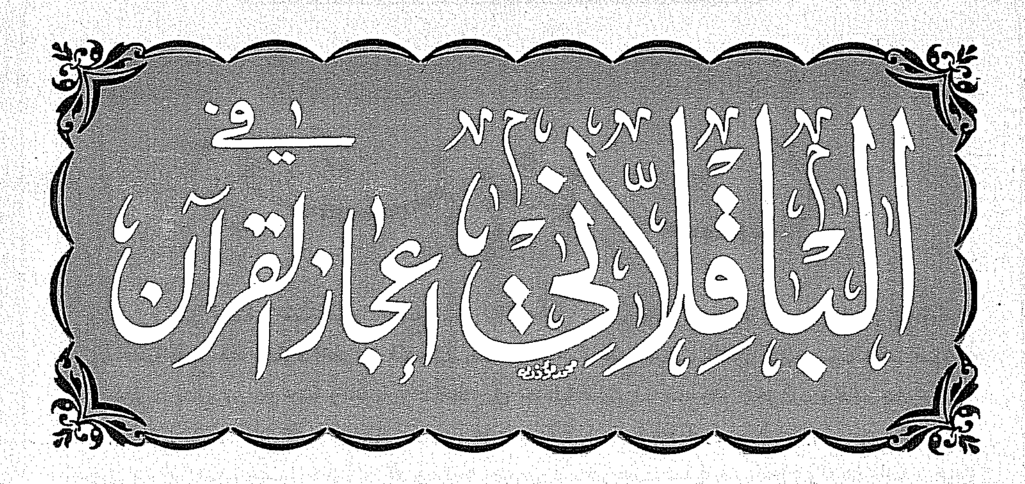
هذه المحن والابتلاءات التي صبر عليها يوسف – عليه السلام – وزاول دعوته إلى الإسلام من خلالها ، وخرج منها كلها متجرداً خالصاً ؛ آخر توجهاته ، وآخر اهتماماته ، في لحظة الانتصار على المحن جميعاً ؛ وفي لحظة لقاء أبويه ولم شمله ؛ وفي لحظة تأويل رؤياه وتحققها كما رآها : « إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر . رأيتهم لي ساجدين » .. آخر توجهاته وآخر اهتماماته في هذه اللحظة هي التوجه المخلص المتجرد المنيب إلى ربه ، منخلعاً من هذا كله بكليته كما يصوره القرآن الكريم :

« فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجداً . وقال : يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم .. رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السماوات والأرض . أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلماً ، وألحقني بالصالحين » ..

وهكذا كانت طلبته الأخيرة .. بعد ذلك كله وهو في غمرة السلطان والرخاء ولمة الشمل .. أن يتوفاه ربه مسلماً ، وأن يلحقه بالصالحين .. وذلك بعد الابتلاء والمحنة ، والصبر الطويل والانتصار الكبير ..

فلا عجب أن تكون هذه السورة . بما احتوته من قصة ذلك النبي الكريم ، ومن التعقيبات عليها بعد ذلك ، مما يتنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والجماعة المسلمة معه في مكة ، في هذه الفترة بالذات ، تسلية وتسرية ، وتطميناً كذلك وتثبيتاً للمطاردين المغتربين الموحشين !

من ظلال القرآن



للأستاذ / عبدالرحمن البجاوي

مما لا شك فيه أن قضية « إعجاز القرآن » قد شغلت الباحثين في الدراسات القرآنية والبلاغية منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر من الهجرة ، ونشرت دراسات متنوعة وبحوث مستفيضة تعالج هذه القضية ، وتبين بعض معاني إعجاز القرآن الذى نزل على خاتم المرسلين ، ليكون معجزته الخالدة الباقية بقاء الشمس في فلكها ، ناطقة بأفصح لسان للبشرية جمعاء ، معلنة أن الله واحد لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله الذى بلغ عن ربه ، وما جاء به هو الشفاء لما في الصدور ، وهو الرحمة لهذا العالم الذي يتخبط في دياجير المادية الآثمة ، وأنه كما جاء في الأثر « فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ... وهو الذى لا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه «اخرجه الترمذي عن علي كرم الله وجهه بإسناد ضعيف قال الامام ابن كثير وقصارى هذا الحديث ان يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن . كما وصفه صلى الله عليه وسلم - القرآن - بأنه (مأدبة الله) أخرجه أبوداو د ـ التي تغذي الروح وتصقل الوجدان ، وما أحرانا أن نأخذ من هذه المأدبة ، وأن ننهل من ينابيعها الصافية ، أليس الحق جل وعلا هو الذي قال : « **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** » آية (٩) الاسراء .

أولا ، حياته وعصره :

ولد أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في البصرة ، في القرن الرابع

الهجري حيث شهد تقلص ظل الخلافة العباسية ، وظهور دويلات انفصلت عن جسد الدولة الأم كالدولة البويهية (٣٣٤ : ٤٤٧) التى نشأ الباقلاني في كنفها وخاصة في عصر (عضد الدولة) الذي استقدم العلماء ، وعين الباقلاني رئيسا للبعثة التى أوفدها للروم سنة ٣٧١ هـ ،

وعندما تولى (صمصام الدولة) بعد أبيه ألّف له الباقلاني كتابه (التمهيد) عند مقامه بشيراز .

ثم انتقل الباقلاني إلى (بغداد) وتلقى العلم على أعلامها حينذاك ، كأبي بكر الأبهري (ت ٣٧٥ هـ) وكان شيخ المالكية في عصره ، وكأبي الحسن الباهلي (ت ٣٧٠ هـ) وكان صاحبا لأبي الحسن الأشعري شيخ السنة (ت ٣٣٠ هـ) وأحمد بن جعفر الذي أخذ الباقلاني عنه الحديث ، كما كان معاصرا للصاحب ابن عباد ، وأبي حيان التوحيدي ،

وشهد ما دار في عصره من جعل الخلافة اسما لا روح فيه ، ومن مجالس العلم والعلماء التى حفل بها هذا العصر ، وظهرت فيه آراء أهل السنة التى ناقشت آراء المعتزلة في

خلق القرآن ، والقول بالاختيار المطلق ، والقول بالصرفة . وكم كان يكثر من حملاته على الرافضة

والملحدين ، ويبجل أستاذه الأشعري وكل هذا دفعه إلى الاستزادة من الحركة العلمية حوله وكان محصوله وافرا في مجال التأليف .

ثانيا : أشهر مؤلفاته .

لقد أحصى الدارسون لتراث الباقلاني مجموعة من المؤلفات منها ما يعرف باسمه ، ومنها ما ضاع في طيات الزمن ، نتيجة للصراعات والحروب بين أرجاء الدولة الاسلامية ، ومنها ما ظهر للعيان وطبع أكثر من مرة . ومن أشهر كتبه المطبوعة كتابه (إعجاز القرآن)

وكتاب (التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) طبع في القاهرة سنة ١٩٤٧ م ، ومنها كتاب (رسالة الحرة) الذى طبع تحت اسم الانصاف سنة (١٩٥٠م) وله من المخطوطات كتاب (هداية المسترشدين) الذى فقدجزء كبيرمنه وبقى بعضه في مكتبة الأزهر ، وله كتاب (معاني القرآن) وغيره مما لا يقع تحت أيدينا ولا نعرف إلا شذرات منه .

ثالثا : تأثره بسابقيه :

لقد سبق مؤلفَ (إعجاز القرآن) للباقلاني جهود أشار إليها في كتابه صراحة ، وجهود أخرى لم يشر إليها وإن كان قد استفاد منها ، وقد ذكر اطلاعه على ما كتب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) قائلا :

« وقد صنف (الجاحظ) في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » كما أشار إلى كتب أخرى للجاحظ مثل كتاب

(خبر الواحد) ، وكتاب (الرد على النصارى) وكتاب (البيان والتبيين) .

أما من أغفل الباقلاني جهده من سابقيه ، فنذكر منهم محمد بن زيد الواسطي (ت ٣٠٦ هـ) صاحب (إعجاز القرآن) ، وأبو سليمان حمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨ هـ) وعلي ابن عيسى الرماني (ت ٣٨٦ هـ).وله كتاب (النكت في إعجاز القرآن) ،

وألف (بيان إعجاز القرآن) ، وجاء بعدهم الباقلاني فنهل من علمهم ،

وأضاف الكثير في كتابه ، كما خلفه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فسار على منواله في (الرسالة الشافية) ونفى القول بالصرفة .

رابعا : **منهج الباقلاني في إعجاز القرآن** : لقد حدد الباقلاني في مقدمة كتابه الهدف الذي يرمي إليه قائلا :

« نحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير إليه ، ولا نبسط القول لئلا يكون ما ألفناه مكررا ومَقولا »

وقدم لموضوعه بمقدمة عن نبوة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعجزته الخالدة التي « عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد سواء » . ثم ذكر الدِّلالة على أن القرآن معجز بأنه تحدى العرب ـ مع بلاغتهم وفصاحتهم ـ أن يأتوا بسورة من مثله « **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** » آية/٢٣ البقرة ، وطالبهم مرة آخرى بأن يأتوا بعشر سور مثله ـ إذا كانوا يتصورون أنه مفترى وليس من عند الله ـ فقال جل من قائل : « **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** »

آية/ ١٣ هود وقد عجز العرب عن التحدى مع أنهم « على ما هم عليه من الذِّرابة والسلاقه والمعرفة بوجوه

الفصاحة ، والقرآن يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته وأنهم يضعفون عن مجاراته » وما أصدق

قوله تعالى : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » آية/٨٨

الإسراء ثم تعرض الباقلاني لجملة وجوه الاعجاز التى ذكرها أصحابه الأشاعرة وهي ثلاثة :

● ـ **الاخبار عن الغيوب** وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه ، كما أخبر عن هزيمة الروم في بضع سنين ، وهزيمة المشركين في بدر ، ودخول الرسول مكة ظافرا بعد أن أخرج منها .

● ـ **أنه كان معلوما أن النبى كان أميا** لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ ـ

وهذه صفة تشريف ـ ومعلوم لنا أن من ينبغ في علم ما ، لا يخفى شأنه على كثير ممن يعاصره ، وقد نفى الله تعالى عن نبيه القراءة والكتابة حتى لا يكون

هناك أدنى شك فيما جاء به « **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون** » آية/٤٨ العنكبوت .

● ـ أن القرآن بديع النظم عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق كافة عنه .

خامسا : وجوه الاعجاز :

لقد فصل الباقلاني ما أجمله السابقون في قضية الاعجاز ، وخاصة ما قيل في بديع نظمه ، ورأى أن هناك عشرة وجوه ترجع إلى ما يلي :

■ ـ ما يرجع إلى الجملة القرآنية التى تباين ما اعتاد العرب من السجع ، أو الأعاريض والقوافي في الشعر او التكلف في القول..وهذه خصوصية ترجع الى جملة القرآن ، وتميز حاصل في جميعه » .

■ ـ اشتمال كتاب الله على الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع والمعاني اللطيفة ، مع طوله ، وقد وصف الله كتابه بقوله : « **مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** » آية ٢٣ الزمر .

■ ـ عدم التفاوت بين عجيب نظمه ، مع اشتماله على قصص ومواعظ وأحكام ، وإعذار ، وإنذار ، ووعد ووعيد .

■ ـ تفاوت الفصحاء والبلغاء والشعراء في الوصل والفصل ، والتقريب والتبعيد ، ولكن القرآن يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب .

■ ـ اشتمال القرآن على ما يعرف في الخطاب من التعريض والتصريح ، والبسط والاقتصار ، والجمع والتفريق . وهذه الوجوه الخمسة ترجع إلى الجملة القرآنية التى أفاض في بيانها من جاء بعد الباقلاني ، كالجرجاني والزمخشري والرافعي .

■ ـ عجز الجن والانس عن الاتيان بمثله«ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »الاسراء آية ٨٨ .

■ ـ تعذر المعاني التي تضمنها في أصل الشريعة والأحكام ، والرد على الملحدين والمعاندين . تعذرها ـ على البشر كافة ، ومَنْ من الملوك في أي عصر يستطيع أن يقول : « **لمن الملك اليوم** » ؟ آية/١٦ غافر .

■ ـ إن اللفظة الواحدة في القرآن الكريم يتمثل بها في كلام كثير،فتكون غرة جميعه ، وواسطة عقده ، وتنادي على نفسها .

■ ـ خروج القرآن عن الوحشي المستكره ، وجعله قريبا للأفهام،يبادر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس « **قرآنا عربيا غير ذي عوج** » آية /٢٨ الزمر

■ ـ الحروف المقطعة في أوائل السور وهي نصف حروف المعجم وهي (أ ، ح ، ر ، س ، ص ، ط ، ع ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، ي)

وفيها خمسة أحرف مجهورة ، وتسعة مهموسة ، وهي أيضا نصف ما في حروف الهجاء ، وفيها ثلاثة من حروف الحلق الستة المعروفة في قول : همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ، ثم غين خاء

وفيها نصف الحروف الشديدة التي تمنع الصوت أن يجري فيه ، وفيها أخيرا نصف حروف الاطباق الأربعة ، كالطاء والصاد .

وهذه الفكرة وحدها في تحليل الباقلاني الاحصائي تبين مدى فهمه لأسرار القرآن وتبرز شخصيته بوضوح .

ولقد استمعت إلى أستاذ للأدب الانجليزي غير مسلم في لقاء عابر عن الاعجاز في كلمة (يمكث) من قوله تعالى (**وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) آية/١٧ الرعد ووجدته يوضح أن كلمة مكث تبدأ من الشفتين ، فوسط الفم ، فترجع إلى طرف الأسنان ، وأن هذه الحركة في النطق تشبه حركة الجمل في استقراره على الأرض وأعجبني مدى فهم هذا العالم لاعجاز هذه الكلمة ؛ ولكني وجدت القاضي الباقلاني ضرب مثلا عن (ألم) فوجد أنها تبدأ من آخر الحلق ، ثم تتوسط اللام ، وتنتهي بالميم في الشفتين ، وهذا التركيب المعجز لا يقدر عليه إلا الله . وحبذا لو تعرض علماؤنا في هذا العصر لاستخراج مثل هذه الدراسات القرآنية ، التي تكشف عن روعة كتاب الله وبلاغته في كل حرف ، وفي كل لفظة ، وفي كل آية .

سادسا ، رأيه في السجع والقول بالصرفة :

مما تجدر الاشارة إليه فيما كتب الباقلاني حول إعجاز القرآن ، نفيه مارآه الآخرون من القول بالصرفه ، وان الله صرف الهمم عن معارضه، القرآن ، وهو قول ساقه (النظام) وتلميذه الجاحظ وكذا الرماني والخطابي ، وقد أجمع العلماء على أن هذا القول ساقط وأنه ـ كما قرر الباقلاني « لو كانت المعارضة ممكنة لم يكن الكلام معجزا ، وإنما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه» وقد فند القول بالصرفه من جاء بعده كعبدالقاهر الجرجاني الذي أشرنا إليه فيما سبق .

وقد تابع الباقلانى سابقه الرماني في نفي السجع من القرآن واعتبره عيبا حيث قال : « لو كان القرآن سجعا لكان خارجا عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز » ولقد نفى هنا السجع على إطلاقه مع أننا نجد هناك نوعا محمودا لا تكلف فيه وردت منه طائفة من أحاديث رسولنا الكريم ، كقوله عندما فتح مكة (سنة ٨هـ في رمضان) :

« لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » وكقوله عن

الجنة : « فيها ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت » . كما وردت سور كاملة في القرآن مثل : الرحمن ، الشمس ، الليل ، الكوثر ، الناس ، فيها توافق أواخر الآيات ويسمى هذا رعاية الفاصلة ، وقد أخذت هذه التسمية من قوله تعالى : (**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون**) فصلت آية ٣ وأهل فنون البلاغة يعتبرون الفواصل بلاغة .

وقد نفى الباقلاني الشعر عن القرآن كما نفاه المولى جل وعز عن نبيه في قوله : (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**) آية ٦٩ يس . ولا يغرب عن بالنا هذيان مسيلمة وسجاح وطليحة الأسدي ، ممن حاولوا معارضة القرآن بشعرهم وأسجاعهم ، وعرض الباقلاني لدراسة قصائد للمتنبي وابن الرومي والبحتري وامرىء القيس ، وفند آراء الملاحدة والرافضة في قضية الشعر مؤكدا « أن الذي عارض القرآن بشعر .. لأضل من حمار باهلة وأحمق من هبنقة » .

واختتم الباقلاني حديثه عن إعجاز القرآن وبيان أنه معجز بنظمه الالهي ، قائلا : « وكما عرف قوم عيسى نقصانهم في العلاج فجاءهم بما بهرهم من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ، وكما أتى موسى بالعصا التي تلقف ما يأفكون ، وكما سخر الله لسليمان الجن والانس والطير كانت هذه المعجزة التي يقف عليها الأول والآخر وقوفا واحدا ويبقى حكمها إلى يوم القيامة » .

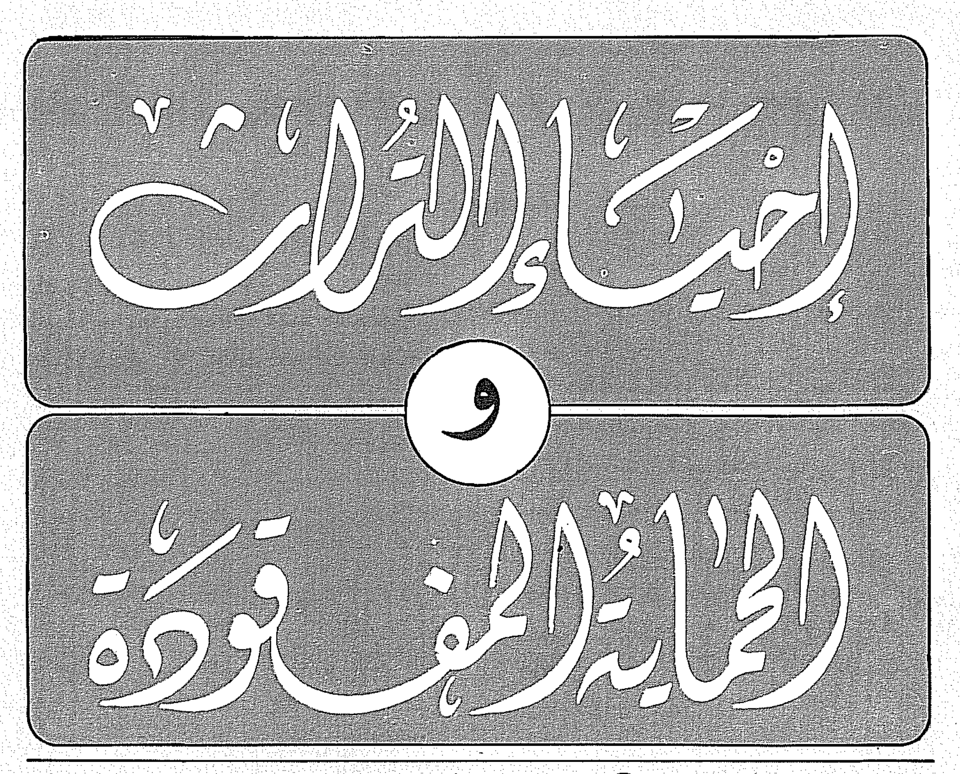
سابعا ، خاتمة :

لقد كان الباقلاني صورة لعصره بما فيه من أفكار وآراء ، ومع أنه ساهم بمؤلفه في الاعجاز مساهمة جليلة ، إلا أننا وجدنا من يعده من الملاحدة والخرمية ونسبوا إليه آراء غير آرائه حسدا وحقدا ، ومن هؤلاء الشانئين عليه ، أبوحيان التوحيدي والصاحب بن عباد ، وابن حزم الظاهري ، ولو كان الباقلاني ـ كما يقولون ـ لبرئت منه الأمة ولكن الحقائق دائما لا ينكرها إلا جاحد وما أصدق قول القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقد أنصف الباقلاني بعض معاصريه كأبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠هـ) وقال :

« القاضي أبوبكر سيف أهل السنة في زمانه وإمام متكلمي أهل الحق في وقتنا » وكان يعد على رأس المائة الرابعة من الذين جددوا للأمة دينها كما أنصفه ابن خلدون ، واستفاد من آرائه من جاءوا بعده مثل عبدالقاهر الجرجاني ، والزمخشري ، وابن سنان الخفاجي ، والرافعي صاحب الاعجاز (ت ١٩٣٨) ولا يزال الناهلون من رياض القرآن يقتبسون من معين الباقلاني الذي توفاه الله عام (٤٠٣هـ) رحمه الله وطيب ثراه ونفع شبابنا بعلمه



● للاستاذ/ عباس عباس سيد احمد

غداة الغدرة التي غدرتها اسرائيل في عام سبعة وستين أصيب أبناء الأمة العربية برجة وجدانية عنيفة ، وفي غمرة الألم جعل كل يفسر ما حاق بنا تفسيرا يتفق مع ميوله ، وما يعتنق من آراء ومعتقدات ؛ فجماعة المتغربين عزوه إلى أن الأمة العربية لم تنخلع تمام الانخلاع من قديمها ، ولم تأخذ أخذا كاملا مذاهب الحياة عند الغربيين ، لكن هؤلاء ـ لحسن الحظ ـ كانوا ـ وسيظلون ـ قلة بالقياس الى مجموع أبناء الأمة العربية الذين أحسوا وقتذاك أن السبب في انهزام الصف العربي ليس الا الغفلة عن الله ، واسترخاء المسلمين عن أخذهم أنفسهم بما شرعه لهم من الدين ، ومن ثم تنادوا بتغيير ما بالنفوس وأن يرجع المسلمون الى ما كان عليه السلف الصالحون ـ رضي الله عنهم ـ وباختصار جدّ اتجاه تأصيل، نشط لتقويته عدد من علماء الاسلام الراسخين ،؛ فأولئك أخذوا ينيرون للمتلمسين طريق العودة إلى الله ، وفي كل يوم كان يزداد عدد الذين ينشدون طمأنينة النفس في رحاب الايمان .

ولقد تجاوبت الكلمة المكتوبة مع هذا الانبعاث من خلال عدد لا بأس به من المجلات الدينية والنشرات ، وعبر عشرات من الكتب الجادة تلتقي مع بعضها في الغاية وان اختلفت ما بينها في التناولات ، ولم يقلل كل ذلك من الحاجة الى كتب التراث الدينية ،

فأقبل الناس يطلبونها حيث تكون .

وكأنما هذه الصحوة غاظت الشيطان ، فبادر إلى مواجهتها بتدابير مضادة ، منها أنه أوعز إلى البعض باستغلال هذا المناخ الجديد الى أقصى حدود الممكن ؛ ففي مجال الكلمة المسموعة نشطت تجارة التسجيلات الصوتية ، والتقطت عددا ممن يملكون الأصوات المطربة لكن ما هم بمغنين ، ولا هم من قراء القرآن الكريم ليؤدوا بطرق أداء استهوائية قصصا زائفا صنع للمتاجرة ، تتخلله آيات من كتاب الله للايهام بأنه من الدين ، كما تتخلله ادعاءات تنسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من القول ما لم يؤثر أنه قاله ، ومن الفعل ما لم ينقله أحد عنه ، ليدغدغ كل ذلك مشاعر البسطاء فيقبلوا على شرائه .

وطائفة أشد من هؤلاء ضلالا وإضلالا أفرزتهم النهزة التجارية أيضا ، فهم من حملة كتاب الله ، وقد راحوا يتلونه على هواهم ، فيخلطون بتلاوته ألحانا علقت بأسماع الناس من الغناء ، فهم بذلك يتحببون الى جبلة الخلق .. والعياذ بالله – بما يغضب الخالق بغية بلوغ شهرة لا يفيدون منها الا رخيص المتاع .. ولقد ابتدع بعض هؤلاء من غريب الضبط ، ومن مواضع الوقف والوصل في التلاوة ما يغير السياق في الآيات ، ويؤدي إلى معان بعضها يكفر معتقده حتى استنفرت خطورتهم علماء الأزهر الشريف فاستصدروا الأوامر بمنعهم من تلاوة القرآن ، ومصادرة تسجيلاتهم من الأسواق ، لكن هذا التصدي المشكور كان دون ما يستحقونه من عقاب .

أما في مجال الكلمة المكتوبة فقد حدث ما يشبه ذلك من أساليب الاستغلال التجاري ؛ اذ نشطت دور نشر متطفلة على قطاع النشر الذي كانت له من قبل أصوله الراسخة ، وتقاليده المرعية ، ففتحت صدورها لأدعياء المعرفة الدينية يلفقون من تنطعاتهم ما يلفقون ، ووضعوا له العناوين التي تروجه ، وهي عناوين تعتمد على كلمة من كلمتين : « القرآن والاسلام » وليس هؤلاء فقط الذين آمرتهم دور النشر هذه ، وإنما أمرت كذلك جماعة كانت لهم سابقة كتابة لكن في الموضوعات التي لا يهتم لها إلا أهل التبذل ، وكانت تجارتهم بائرة ، أو قل انهم لما روجوا لها رواجا أكبر ، اصطنعوا لأوراقهم المريضة عناوين جديدة بدل عناوينها المفضوحة ، وتعتمد ايضا على « القرآن والاسلام » .

ولم يكن ذلك النشاط الذي لا يهدف إلا إلى الكسب المادي كل ما أتته دور النشر الجديدة اغتناما للفرصة التي أتاحها جو التأصيل ، وإنما قامت بغيره من النشاطات ، منها التكالب الشرس على طبع الكتب الاسلامية من ذخائر التراث .. كانت بداية الشروع في ذلك وتنفيذه من عاصمة عربية واحدة ، فهذه أوفدت كتب التراث الدينية وغير الدينية الى البلاد العربية الأخرى فأما ما كان من هذه البلاد ذا خبرة سابقة في مجال صناعة الكتاب واسترخى لأسباب طارئة ، فالكتب

التي قدمت اليه لم تكن جديدة عليه ، بل لم تكن في الحقيقة الا كتبه التي كان له الفضل في خروجها من مخطوطاتها وتحقيقها ، والتي قام بطبعها قدامى الناشرين فيه ، ولم تتغير في شيء الا أن تكون قد صارت إلى أغلفة جديدة أو جلود ، أو فقدت أسماء ناشريها الأصليين ، وأسماء محققيها ، مغصوبة في أحيان كثيرة على حمل أسماء أخر ، وبرغم ذلك لقيت رواجا تجاريا لم يكن في الحسبان ، ومن ثم اتجهت أنظار كثيرة الى منافسة هذه العاصمة التي بادرت باخراج التراث من جديد ، ولم يمض وقت طويل حتى صار التنافس الى أشده ، لا بين أقطار عربية فقط ، ولكن أيضا في القطر الواحد بين عدد كبير من أصحاب المطابع ودور النشر الذين ركزوا جميعا على طبع الكتب الاسلامية من التراث .

على أن إحياء كتب التراث الاسلامية إذا كان مرغوبا فيه وهو يقينا مرغوب فيه ، فإن من سوء حظ هذه الكتب - ولا سيما الكتب الأمهات - أن يتم احياؤها على أيدي أناس لا يعتبرونها أكثر من سلعة ، ولا تزيد في نظرهم التجاري قيمة فوق ما لأوراق الجرائد القديمة ، أو الأدوات الكتابية ، ولا يفرقون بهذا النظر بين غال منها وأغلى .

وإذا كانت تلك النظرة إليها هي النظرة ذاتها التي ينظرون بها الى كتب المؤلفين المعاصرين ، فليس الفرق خافيا ، فمؤلفات المعاصرين تلقى حياطة مؤلفيها ، وحياطة ورثة من صار منهم إلى رحمة الله ، أما كتب التراث فلا أحد يحوطها أو يمنعها وقوع اعتدائهم ، مع أنه كان ينبغي أن تكون كفتها الراجحة ، لأنها كتب المسلمين جميعا ، ولأنها مرجعهم بما تتناوله من تفسير القرآن ، وعرض السنة ، وبسط العقيدة ، والفقه والتشريع . يزاد على هذا أن أي تشويش يقع في الكتب الاسلامية التي للمعاصرين تكون كتب التراث المستشارة في ازالته ، أما إذا كان التشويش يقع فيها - أي في كتب التراث - فهذا التشويش ليس إلا مشكلة مؤجلة تنتظر الأجيال القادمة من المسلمين المرتقبين ، فإذا نظرنا فوجدنا هذا العدد العجيب من دور النشر ، ثم وجدنا التفريط الشديد حين العمل في كتب التراث ، ثم وجدنا ان كل ناشر لا شيء يمنعه من أن يأخذ طبعة غيره لكتاب تراثي ما ، فيجعلها أصلا يطبع عليه وينقل أخطاءها بالتمام ، ويزيد عليها ما يمكن أن يقع من جديد ، ويأتي غيره فيأخذ منه كما أخذ هو من سابقه ، ويفعل مثل فعله ، ثم علمنا انه لا يوجد توثيق ولا تحقيق ولا مراجعة جادة ، وأن المراجع أو المحقق مجرد اسم يحمله الكتاب للترويج ليس غير ، بل لا يستبعد أن يكون المحقق وهميا ولا يمثل اسمه أي شخص حقيقي - أدركنا كيف أن التشويش - وما أكثره - يمكن أن يصبح يوما ما متواترا ، ويتعذر الوصول الى الصواب .

وليس من المبالغة أنك إذا وجدت الآن غلطة في كتاب تراثي من الكتب المنشورة حديثا فما أنت إلا واجدها في

كل الطبعات ، وعند كل الناشرين إلا أن يكون أحدهم ممن طال به العمر في الحياة من القدامى في مجال صناعة الكتاب !! أقول وأكرر : ليس ذلك من قبيل المبالغات ، وانما واقع رأيته وأراه ، وفيما يلي أضع أمام القارىء مثالا لذلك ، ليس الآخر بالطبع ، وانما هو مجرد مثال :

الرجل الذي يبيعني الجرائد والمجلات قارىء ممتاز ومستنير .

فاجأني ذات يوم فور إقبالي عليه بسؤال : هل يتصدق الوالد على ولده ؟ قلت له : كل نفقة ينفقها الوالد أو العائل على من يعولهم صدقة ما احتسب من الله ثوابها ، وابتغى وجهه فيها . قال : والزكاة .. قلت : هذه لا تصرف للأولاد ولا لمن يجب على المرء الانفاق عليهم . قال : أظن لفظ الصدقة يمكن أن يقصد الزكاة قلت : نعم . قال : فأيتهما هذه ؟ وأشار الى مكان في صفحة من كتاب مفتوح بين يديه ، ونظرت حيث أشار فقرأت حديثا نبويا مفاده أن صحابيا عين من ماله دنانير يتصدق بها ، ولكنه لم يتصدق بها بنفسه وإنما وكل رجلا في المسجد عنه في ذلك ، فهذا أعطاها ابنا فقيرا لهذا الصحابي ، فلما علم الصحابي بذلك اعتقد أن صدقته كأن لم تكن إذ لم يتصور جواز منح الصدقة لابنه ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بصحتها باعتبار ما كان الصحابي ينويه أما نص الحديث فهو ذا كما ورد بالكتاب :

« عن أبي يزيد معن بن الأخنس ـ رضي الله عنهم .. وهو وأبوه وجده صحابيون قال : كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فأعطاها رجلا في المسجد ، فجئت فأخذتها فأتيته بها ، فقال : والله ما إياك أردت ، فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لك ما نويت يا يزيد ، ولك ما أخذت يا معن » .

وأدركت أن لفظا هو (يزيد) لابد أنه سقط بين العلمين : معن والأخنس أو بمعنى آخر غلب على ظني أن حق الكلام أن يكون : عن أبي يزيد معن ابن (يزيد) بن الأخنس .

ولما انقضى حديثنا طلبت من الرجل أن يعيرني الكتاب ليوم واحد فقبل مشكورا وأجابني الى ما طلبت .

أما لماذا طلبت أن يعيرنيه فلأن نسخة منه عندي اشتريتها قبل ذلك بعام (كنا في عام ١٩٨١م) وقد رجوت أني إذا عرضت الأمر على نسختي أجد فصل الخطاب .. لكن المؤسف أني لم أجد إلا اتفاقا بين نسختي ونسخة الرجل كما تبين لي بالمقابلة بينهما أنهما متفقتان من مثل ذلك على كثير .

أما نسختي فغير محققة ، وإن كانت مصدرة بصفحة واحدة تتحدث عن الأصل الذي أخذت منه ، وعن هذا الأصل كيف وثق وتنتهي الصفحة مذيلة بكلمة (المراجع) دون ذكر من يكون ؛ أما الدار التي نشرتها فتنتسب بطريقة من النسب ـ وهذا انتهاز تجاري ـ الى الأزهر الشريف .

وأما نسخة الرجل التي استعرتها فمحققة ، أقصد أن وجهها مكتوب فيه تحت اسم المؤلف : (تحقيق فلان)

وناشرتها دار من دور النشر في القطاع العام وقد كتبت في ظهر الكتاب تقول :

« واختار المحقق أقدم نسخة مطبوعة من هذا الكتاب لعمله ، أخذت من نسخة مخطوطة ، تمت مراجعة الأحاديث الموجودة بها على أمهات كتب الأحاديث وعلى هذا أصبح هذا الكتاب الذي تصدره دار (....) في أجزاء نموذجا جيدا لكتب التراث التي تم تحقيقها بشكل عصري » وقد صدقت الدار فالتحقيق تم بشكل عصري ، ولا خلاف .

أما المحقق ، ولا بأس أن نتعارف على تسميته المحقق العصري للتمييز فقد كتب «بين يدي الكتاب » كلمة ضافية يمتدح في صدرها دار النشر كما امتدحته ثم يتحدث عن خطة عمله ومنهجه في تحقيق الكتاب ، وبعد قليل يذكر ثمرات جهده المباركة تلك التي حلى بها الكتاب ، ولكنه كان في غنى - لو كان له وجود حقيقي ووافقه الحياء عن أن يزعم أن ما حققه للكتاب لم يتحقق لأية طبعة سابقة .

هذا .. وقد نسيت أن أذكر اسم الكتاب في السطور السابقة وأنه كتاب «رياض الصالحين » من كلام سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام لمؤلفه : محيي الدين أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي - رضي الله عنه .

أما الحديث الذي نتكلم عنه فهو الحديث الخامس من الأحاديث التي ضمها هذا الكتاب .

لما رجعت الى كتاب « فتح الباري » وجدت الحديث من كتاب الزكاة في باب : « إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر » وقد ساقه البخاري رضي الله عنه أطول مما هو في كتاب رياض الصالحين على هذا النحو :

« عن محمد بن يوسف عن اسرائيل عن أبي الجويرة عن معن بن يزيد أنه حدثه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأبي وجدي ، وخطب علي فأنكحني ، وخاصمت اليه ، وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها » ثم يذكر بقية الحديث .

وفتح الباري ولم يذكر الأخنس في متن الحديث - ذكره في شرحه لكن الذي لم يذكر في المتن ولا في الشرح هو تلك الكنية : « أبي يزيد » المذكورة في بداية الحديث من رياض الصالحين ، مما يشكك في أنها ربما كانت زيادة فيه ، وهكذا صارت هذه الكنية شوب ما حدث في النفس من اطمئنان ، ولا بد لي من أن أصل الى اطمئنان غير مشوب وقد بلغته والحمد لله لما وجدت ذكرها متواترا في نسخ صحيحة من الكتاب ومن شروحه ، وكانت بداية التأكد نسخة محققة بإحدى المكتبات العامة يرجع تاريخ طبعها (الطبعة الأولى) الى عام ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م

بيد أني صادفت في هذه النسخة ما أدهشني حقا ؛ اذ لما قرأت الكلمة التي صدر بها المحقق الكتاب ، وما اشتملت عليه من خطة عمله فيه ، والنتائج التي ذكر أنه عمد لتحقيقها خدمة لعلوم الدين وللقراء ، أدركت

لتوي انها تلك الكلمة التي أخذها المحقق العصري وكتبها واضعا لها عنوانا من عنده، ومخالفا ألفاظها أحيانا الى غير ذلك من أساليب التمويه، وتساءلت حزينا بيني وبين نفسي: كيف يتسهل عالم بعلوم الاسلام هذا التسهل فيدعي خدمة كتاب من كتب الحديث لم يبذل لها أدنى جهد فيكون ممن يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا؟ ثم يضيف الى هذا أن يسند الى نفسه من الفضل ما غيره به حقيق؟!

ومرت السنوات من عام ١٩٨١ الى أن كان العام المنصرم عام ١٩٨٦ وتطلعت نفسي الى شراء مجموعة من الكتب رأيت أني بحاجة اليها، ورأيت أن يكون منها نسخة أطمئن الى صحتها من كتاب رياض الصالحين بدل النسخة التي عندي بعد أن انكشف لي بها عدد من الأخطاء العلمية ووجوه القصور، وبعد تقديري أن بها مما لم ينكشف المزيد. قيدت أماكن الأخطاء في ورقة غير مكتف بقرن كل منها برقم صفحته، ولا باسم بابه، وإنما الى جانب ذلك اصطنعت علامات أخرى تعينني على الوصول الى الأماكن التي أريدها بسرعة عند فحص أية نسخة في أثناء الشراء، ورحت كلما دخلت دكان كتب أسأل البائع أن يتفضل بإطلاعي على ما عنده من طبعات رياض الصالحين، وكلما حملت الكتاب على راحتي فتحته، وقصدت فيه الى مواضع بعينها منه أنظر: الخطأ موجود أم لا؟ وبلغ عدد الطبعات التي اطلعت عليها إحدى عشرة طبعة، كانت كنسختي إلا ثلاثا، أي أن ثماني نسخ لثمانية من الناشرين كانت صورة واحدة يشتمل كل منها على ما اشتملت عليه بقيتها من الأخطاء.

ومن العجيب أن صورة نسختي بما هي عليه من النظام متكررة عند عدد من الناشرين وكم كنت أرى هذه الصفحة التي صدرت بها، ولا تزال مذيلة بكلمة (المراجع) دون ذكر من يكون، ومن الناشرين من سولت له ذمته التجارية أن يكتب على وجهها هذه الاضافة الترويجية: أشرف على طبعه وتصحيحه فضيلة الشيخ فلان الفلاني من علماء الأزهر الشريف ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

أما كلمة المحقق العصري المنحولة المضمون فقد انتقلت الى كتب عدد من الناشرين من مصر ولبنان، ومن الغريب أن الذين نقلوها كانوا أمناء ـ فقط ـ على ما بها؛ فلم يحذفوا منها اسم الدار (دار القطاع العام) التي كان كتابها أول ما تحلى بها!! أهذا هو الأثر الذي يسهو الباطل عن اخفائه فيدل عليه، أم هو التعاون المغرض بين الشركاء؟

وبعد .. فقد عرضت على القارىء هذا المثال لكي يرى الى أي حد وصل هذا الاستهتار بالتراث الاسلامي،

وبقرائه المسلمين المتعطشين الى الاستنارة الدينية عن طريقه ، ولعل القارىء يوافقني على بعض الأمور :

- غير معقول أن المحققين المذكورة أسماؤهم - وهي أسماء غريبة على من نعرفهم من رجال التحقيق - أشخاص حقيقيون ؛ وأنه بعيد جدا تصديق أن يكون خلق علماء الاسلام ، وخدم الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة انحدر الى هذا الدرك مهما يكن المقابل المادي ، وإذا كان ذلك كذلك فالناشرون الجدد هم الذين يبتدعون أسماء وهمية ينسبون اليها تحقيقا غير حاصل توسلا دنيئا الى ربح حرام من خلال المتاجرة في كتب التراث الاسلامية متاجرة تتعرض بها للتشويش .

- يمكن تقدير حجم التشويش الذي تصاب به كتب التراث على أيدي هؤلاء المستهينين بها إذا كان ما رأينا في مثالنا السابق هو نمط العمل في كتاب جليل من كتب الحديث النبوي الشريف ، أما حجم التشويش في هذا الكتاب كنموذج فيمكن تقديره من علمنا أن الحديث الذي سقناه آنفا ليس الا الحديث الخامس في ترتيب مئات الأحاديث .

- لا يوجد ضمان في جو كهذا الجو الفوضوي أن يزيف أعداء الاسلام - وما أكثرهم - ما يريدون تزييفه من مقالات إسلامية تشتمل عليها أمهات الكتب ، وأن يدخلوا عليها ما يشاءون من مقولات ، وذلك - بالنظر الى الضعف المطرد في تحصيل العلوم الاسلامية وضعف الصلة بالمراجع العمد - له أخطر الآثار .

هذا .. ولست أزعم المعرفة بأية قوانين تنظيمية في مجال طبع التراث الديني أو غيره من التراث ، لكن الذي أتصوره أن الفوضى الحادثة في الحركة المتسببة لطبع الكتب الاسلامية - على وجه الخصوص - اما أنها خروج على قانون موجود ، واما ان الأمر في حاجة الى استحداث مثل هذا القانون .. ولم لا ؟ أليس التراث عزيزا على المسلمين ؟ ألا يجب أن نسلمه كما تسلمناه ؟ واذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نفكر في حياطته ؟ لماذا لا نضع التصور المناسب لتنظيم احيائه ، وضبط التعامل معه ، وتوظيفه التوظيف المدروس بدلا من تركه لمن لا يقدرونه حق قدره ، يصيبونه بالخلط والتشويش ؟!

ان للآثار قوانين حماية ، فأين القوانين التى لكتب التراث الاسلامية أو أين الرقابة المناسبة اذا كانت موجودة هذه القوانين ؟ أم أن كتب الاسلام لا تبلغ في أهميتها وقيمتها ما

تبلغه قيمة الحجارة الأثرية وتماثيل الفراعين والمتفرعنين ؟ أما المسؤول عن حماية الكتب التراثية فهو بالدرجة الأولى مجامعنا الاسلامية لا سيما في الأقطار العربية التي توسعت التجارة فيها في هذه الكتب وما أعظم تمنينا أن ينعقد لهذا الغرض مؤتمر يتوصل الى وضع حد لهذه الفوضى ولهذا العبث الانتهازي الخطير .

هذا وتبقى كلمة وددت لو لم يأت اليوم الذي يتحتم فيه قولها وأنا من الأحياء تلك أن شهوة الربح التي أعمت فريقا من الناس عن مراقبة الله في تراث الاسلام صارت من الفجور بحيث جرأتهم على كتاب الله ، فانتقل اليه عبثهم يفعلون به في دار الاسلام ما لم يكن يتصور تعرضه الى أدناه في أي زمن من الأزمان الماضية وماذا أشد فجورا من بيع طبعات محرفة من المصحف الشريف وليست دور النشر التي باعتها بمنأى عن تهمة العلم بما فيها حين بيعها ولا عن قصد انفاذها هذا البيع ايثارا لحفنة من المال كانت ستحرمها لو أنها حجبت المصاحف التي وقع بها التحريف عن أن يتداولها المسلمون .

وهذه بداية ؛ ولا بد من التصدي لها تصديا تقتضيه مسؤولية المسلمين حيال كتاب الله ، وهي مسؤولية لا يدفعها عنهم أن الله يحفظ كتابه ..

وان في هذا لبلاغا لقوم عابدين .

صديق وفي

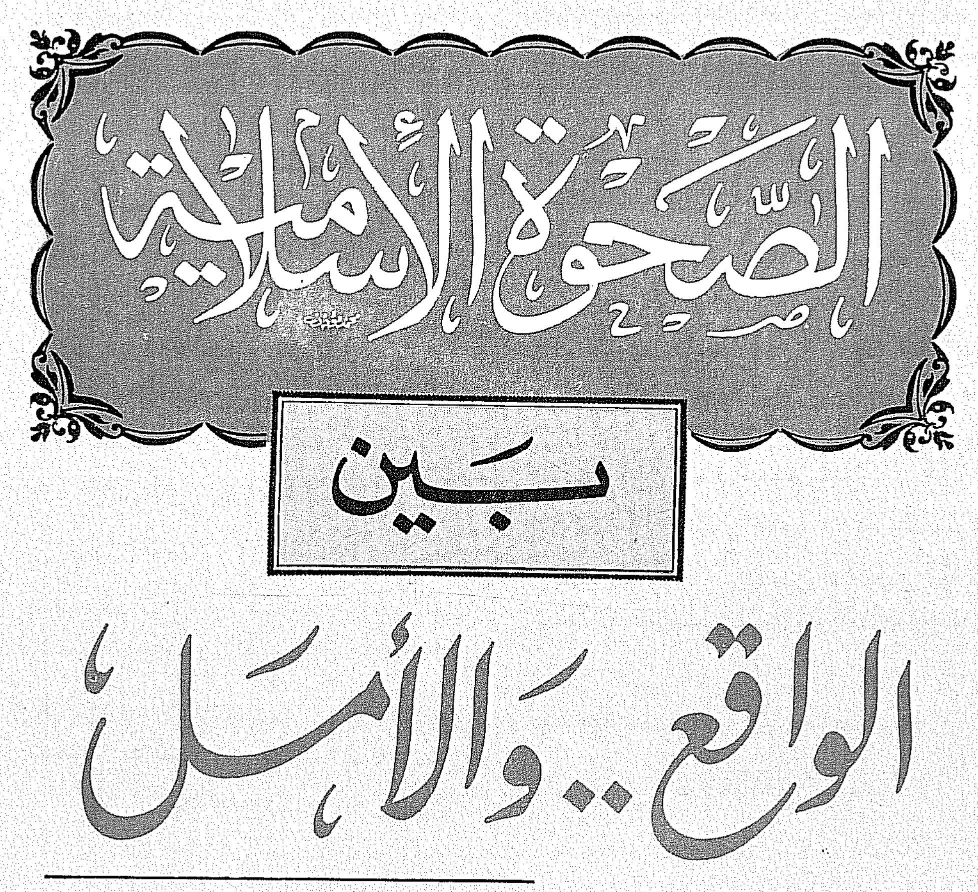
قال لبيد بن ربيعة لما بلغ ١٣٠ سنة وحضرته الوفاة :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فقوما فقولا بالذي تعلمانه ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شَعَرْ

وقولا هو المرء الذي لا صديقه ... أضاع ولا خان الخليل ولا غدر

إلى سنة ثم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر



للاستاذ / محمود بيومي

يدور اليوم جدل كبير حول مفهوم الصحوة الاسلامية .. هل هي يقظة اسلامية حقيقية ... أم هي مجرد شعارات نرفعها بعد أن انفرط عقد الخلافة الاسلامية ... كصيغة بديلة أو وسيلة جديدة يمكن ان تحقق الوحدة الاسلامية المرجوة ... وهل استطاع المسلمون استثمار معالم هذه الصحوة لتحقيق مآربهم في اتخاذ المنهج الاسلامي الصحيح لبناء دولة اسلامية تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية ... أم ان هذه الصحوة مازالت في المهد !!

والحقيقة أن محاولة تقييم الصحوة الاسلامية ... تتطلب منا أن ننقد أنفسنا نقدا ذاتيا ولا نسدل الستار على المعوقات التي تعترض مسيرة هذه الصحوة ... وأهم هذه المعوقات هي تلك النحل والمنظمات المعادية للاسلام والمسلمين والتي تعمل جاهدة على إرباك الفكر الاسلامي وتعويق خطواته وإرجاء صحوته .

أعداء الصحوة الاسلامية

إن أعداء الصحوة الاسلامية يتمثلون في الصهيونية العالميـة والمنظمات التنصيرية والشيوعية والعلمانية العالمية والقاديانية وغيرها من النحل الضالة المضللة .... فإذا استطعنا أن نصفّى هذه المخططات أو نتصدى لها ... وأن ننزع الفتيل من هذه الشباك الخمس نكون قد حاولنا تضييق الخناق المحكم حول الساحة الاسلامية وحصنا أنفسنا ضد أعداء هذه الصحوة .

تنقية المفاهيم الاسلامية

كما ان بعض النحل الضالة ... تحارب الاسلام باسم الاسلام لانها تخفى جوهر اهدافها وتعمل من أجل تخريب وهدم العقيدة الاسلامية ... ومن هذه النحل ... الجماعة القاديانية التي تطلق على نفسها اسم « الأحمدية » حيث استطاعت أن تتسرب الى المجتمعات الاسلامية لتنشر سمومها بين المسلمين .

وهذا يؤكد دور التنقية ونشر الوعي الاسلامي في هذه المجتمعات .. لتعرية حقيقة هذه الدعوات الضالة ... ولقد حقق المسلمون نجاحا في بعض المجتمعات مثل فنزويلا ... حيث قام المركز الاسلامي في « كاراكاس » بدوره في هذا المجال حتى تم القضاء نهائيا على القاديانية في فنزويلا ... كما حصل المسلمون في « مورشيوس » على حكم قضائى بطرد اتباع هذه النحلة من أحد المساجد هناك ... كما اجمعت المؤسسات الاسلامية على اعتبار اتباع هذه النحلة ... خارجين على الاسلام وأدت دورا طيبا في كشف مخططاتهم حتى لا يقع المسلمون فريسة في براثن القاديانية .

وإنقاذ المجتمع الاسلامي من هذه الاباطيل ووجوب تنقية الفكر الاسلامي من المغالطات والمفاهيم الخاطئة التي تنخر في جسد الأمة الاسلامية يتضح لنا من قوله تعالى : « **أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** » ـ العنكبوت الآية ٢ ـ ٣ .

العودة الى الحل الاسلامي

ونحن في مجال النقد الذاتي لأنفسنا ... لابد أن نؤكد أن هناك عوامل كثيرة قد حجبت الرؤية في الواقع الاسلامي ... منها مناهج التربية في ديار المسلمين ... التي أدت ـ

بمفاهيمها الغربية عن الاسلام ـ إلى عدم وجود رؤية محددة للشباب وانعدام القدوة الحسنة امامهم ... فخرجت الأجيال تحاكي الغرب في جميع مجالاته ... يضاف الى هذا دخول العالم الاسلامي في محاور سياسية مختلفة لا تخدم فكرة الوحدة الاسلامية ... فإذا ما برزت اليوم معالم الصحوة الاسلامية لتنبه الأذهان إلى ضرورة الخلاص من كل هذه المعاناة ... وتوجه الضمائر إلى وجوب العودة إلى الحل الاسلامي لكل مشكلات الحياة واتخاذ القرآن الكريم دستورا للمسلمين ... يجب ان تجد هذه الصحوة الاسلامية المناخ المتاح لها .

حصار الصحوة !!

إن الصحوة الاسلامية .. تحاصرها مشكلات العالم الاسلامي ... وتحاول خلافاتنا أن تهلكها أو ترهقها بأسباب الفرقة ... لا أن تدفعها كي تجوب كل ديار المسلمين ... ورغم وعورة الطريق وأخطار الصهيونية والصليبية والحروب الدائرة بين المسلمين والمسلمين ... أو بينهم وبين أعدائهم ممن يعملون على انهيار الحزام الأمني للأمة الاسلامية ... نرى الصحوة الاسلامية تخوض معارك هنا وهناك لإثبات الذات والحفاظ على العقيدة الاسلامية ..

صحوة الثقافة الاسلامية

إن الصحوة الاسلامية ـ بمفهومها الواسع ـ تعنى صحوة الثقافة والحضارة الاسلامية وبعثها من جديد في كافة مجالات الحياة... ليصحو العقل المسلم لمواجهة كل المحاولات التي تبذل للنيل من العقيدة الاسلامية ... وتعنى صحوة الضمير في قلب كل مسلم ليطبق شرع الله في الارض ... وإرساء قواعد العدل الاسلامي ... فالصحوة تعنى البعث وإحياء كل مفاهيم العقيدة الاسلامية السمحة في كافة المجتمعات الاسلامية سواء أكانت أغلبيات أم أقليات .

السلبيات والمتناقضات

إن إطلالة الصحوة الاسلامية من جديد على الوطن الاسلامي ـ الذي طغت عليه الأفكار المادية ـ تسعى إلى تخليصه من السلبيات والمتناقضات ومن الخصومة النفسية بين الاسلام كعقيدة وشريعة ومنهاج للحياة وبين المسلمين كأمم وشعوب .

فالأمر المؤكد أنه لاصلاح لأمر الأمة الاسلامية ـ في حاضرها ومستقبلها ـ الا بما صلح به أولها ... ولا يكون هذا الصلاح أو الإصلاح إلا بتطبيق الدستور الرباني الذي أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ... وهو القرآن الكريم ... لأن الفكر الانساني وحده مهما بلغ من ثقافة ورجاحة عقل ... لا يستطيع ان يحقق الاصلاح المأمول ... فالله تبارك وتعالى خالق الانسان ... لم يتركه لعقله ولا لفكره البشرى ... وانما أنزل الكتب السماوية وفي ختامها القرآن الكريم ..

فالصحوة الاسلامية ليست شعارا ترفعه لنزهو به كما نزهو بأمجادنا الاسلامية السالفة ... وليست كلاما يطلق ولا ألفاظا تنمق ولا مقالات تدبج ولا صيحات تطلق هنا وهناك بحناجر غليظة ... إنما الصحوة الاسلامية تنبيه للأمة الاسلامية أن تنفض عن كاهلها كابوس الانغلاق والتقوقع ... لتؤدي دورها المنوط بها الذي اختاره الله لها .

الانطلاق إلى جميع الآفاق

الصحوة الاسلامية ـ إذن ـ حقيقة موجودة لا ينكرها أحد ... والمطلوب هو دفعها إلى الأمام والمحافظة عليها والعمل على تنميتها وتقويتها . وأن نفتح امامها طريق الانطلاق إلى جميع الآفاق ... لتحقق غاياتها .. وتخترق هذا الجدار الذي وضعه أعداء الاسلام في سبيلها كي يوقف زحفها ... لأن أعداء الأمة الاسلامية لا يريدون لهذه الأمة أن تصحو ... بل تظل في سباتها ... تنقل ثقافاتهم كما تنقل مخترعاتهم ... ولابد أن نخلصها من كل الشوائب التي تعلق بها ... دون أن نغلفها بأي لون سياسي او مذهبي او طائفي او إقليمي ... لأنها تستمد تعاليمها وتتضح معالمها من الاسلام باعتباره دينا عالميا لا يعرف وطنا ولا حدودا سياسية ..

بليون مسلم

لقد التقيت بالعديد من المسئولين عن الدعوة الاسلامية في العالم ... وتحدثت معهم عن معالم الصحوة الاسلامية ... ومنهم وزراء للشئون الدينية ..وجاءت آراؤهم لتؤكد اننا نعيش اليوم صحوة حقيقية لو أحسن استثمارها لصالح الاسلام والمسلمين ... ورأي بعضهم أننا نعيش اليوم في ظل « تنبيه اسلامي » ... وأن بليون مسلم في العالم اليوم قادرون على دفع عجلة الصحوة أو اليقظة الاسلامية إلى الأمام لتحقيق وحدتهم المرجوة ... لأن وجود هذه الملايين المسلمة ... يمكن ان يحدث تغييرا وتحولا وتصحيحا لكثير من المفاهيم الخاطئة عن الاسلام والمسلمين في العالم .

○ بليون مسلم في العالم قادرون على تنمية الصحوة .

○ لا يمكن أن تكون هناك صحوة دون وعي اسلامي

بل إن الصحوة الاسلامية بكل مقوماتها ... وهي تملك ارضا اسلامية شاسعة وشعبا مسلما ينتشر في كل بقاع الدنيا ... يمكن أن تشق لنفسها طريقا وتكسب في كل يوم مؤيدين لها ممن هداهم الله إلى الاسلام ... وتفند كل الافتراءات الكاذبة والحملات الظالمة التي تشن على الاسلام والمسلمين في وسائل الاعلام المعادية ..

وبالرغم من تهافت هذه الحملات المعادية الشرسة ... وتراخي وسائل الاعلام في العالم الاسلامي عن التصدي لها .. فإن الاسلام بسهولة تعاليمه وقوته الذاتية قد استطاع ان يجذب كبار المفكرين في العالم الغربي لاعتناق الاسلام ... مما هز دوائر الاستشراق والتبشير في مختلف بلاد الغرب .

لا صحوة بلا وعي

إن الصحوة أو اليقظة الاسلامية المعاصرة ... تؤكد ان الأمة الاسلامية في حالة طيبة من الوعي ... فلا يمكن ان تكون هناك صحوة بلا وعي بحقائق الاسلام ... وأن الأمة الاسلامية بعد ان جربت جميع الحلول من غربية رأسمالية الى شيوعية ماركسية أو علمانية قد وجدت أن الحل الوحيد لكل مشكلاتها لا يكون إلا بالعودة إلى الحل الاسلامي ..

فصحوتنا جاءت بعد تجريب ... واستقر في يقين هذه الأمة ان جميع النظريات الوضعية ... هي نظريات ثبت بالتجريب فشلها ... بعد أن أحدثت ما أحدثت من تخريب في بنيان المجتمع الاسلامي ... وأن تصحيح المسار لا يكون إلا من خلال الاسلام ... والاسلام وحده ... وهكذا هوت كل الحلول العلمانية في حفرة المنهج المرفوض ... بعد أن ظلت زمنا تطفو في واقعنا كمنهج مفروض !!

الرأي العام الاسلامي

إن اول نجاح حققته الصحوة الاسلامية ... هو تكوين الرأي العام الاسلامي ... الذي يدافع عن حقوق الأقليات المسلمة ... ولولا الصحوة الاسلامية ما نالت هذه الأقليات حقوقها المشروعة في إقامة شعائر دينها وانشاء مؤسساتها الاسلامية .. فإن الدول التي تضطهد المسلمين سرعان ما تتراجع عن الاستمرار في هذا الاضطهاد .. بعد ان تلمس الغضبة التي

يجمع عليها كافة المسلمين في كل أنحاء العالم ... فالرأي العام الاسلامي أصبح قوة مؤثرة في اتخاذ القرار السياسي .. وهذه حقيقة لا ينكرها أحد ...

مهما أعلنت الدول التي تعيش في نطاقها أقليات مسلمة ... انها تؤمن بحقوق الانسان ... أو تنص دساتيرها على حرية العقيدة .. لأن الصحوة الاسلامية هي التي تحرس هؤلاء المسلمين ..

كما أن المراكز الاسلامية ومئات المساجد المنتشرة في العالم الغربي ... ماهي الا دلائل على صحوة المسلمين ويقظتهم التي دفعت الحكومات الغربية

ان تقرر تدريس الدين الاسلامي في مدارسها إذا وجد بها طلبة مسلمون ولو كان طالبا واحدا ! وإقبال الغرب على التعرف على الاسلام .. ماهو الا ثمرة

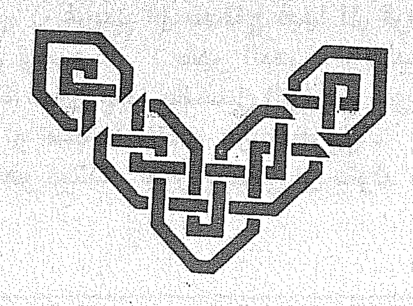
من ثمار الصحوة الاسلامية ... ليحق فينا قول الله تعالى : « **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون** » ـ آل عمران الآية/ ١١٠ .

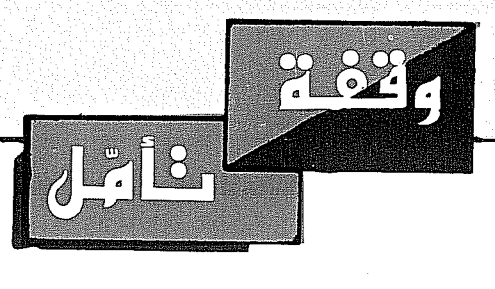
فالذين اعتنقوا الاسلام من الغربيين ... اعتنقوه بعد ان عرفوا كيف كان العدل الاسلامي يطبق على اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان

يطبق على غيرهم من الناس ... وكيف كان الرسول يبيت الليالى لا يجد طعاما ثم يؤثر غيره من الفقراء ... وأن الاسلام يدعو للتى هي أقوم .

فالصحوة الاسلامية واقع معاش ... ولها دعاتها ولها أهدافها ... نبعت من بيئتنا الاسلامية وانبثقت من قيمنا ومبادئنا لتعبر عنها ... وتعبر بنا من

مرحلة التبعية ... الى مرحلة الاصالة ومن التخبط إلى التخطيط ... ومن التفريق والتمزق الى التوحيد والوحدة الاسلامية الصحيحة .





المسئولية والضمير

○ أترانا في حاجة الى قانون يردعنا عن أشياء هي بكل المقاييس ضارة ومؤذية ؟
ضارة بنا كأفراد، وضارة بنما كمجتمعات .. ضارة بنا كمسلمين، وضارة بنا كبشر . عجيب شأن الانسان. كيف يغمض عينيه عن أضرار مهلكة، ويسعى بنفسه الى ما فيه اذاه، ومرضه، وعلته . وقد ميزه الله بالعقل، وأرسل اليه الرسل مبشرين ومنذرين . ورسولنا يقول :
لا ضرر ولا ضرار .
○ واذا جاز لبعض الظالمين والعابثين ان يلحقوا ضررا بغيرهم، فكيف يجوز ان يلحق الانسان ضررا بنفسه .
واذا أصدر من يستشعر المسئولية، ويلمس الأخطار والأضرار التي تلحق بالناس عن قرب قرارا يحرم على الناس، أو يمنع عن الناس، أو يضيق عليهم الخناق حتى لا يلحقوا اضرارا بأنفسهم . ثاروا وقالوا ان ذلك مصادرة للحريات، وان هناك ألف وسيلة ووسيلة للتحايل على القرار .
والكل يعلم ان التدخين مضر بالصحة، وقالوا انه من ضمن أسباب السرطان، ثم هو فوق أضراره الصحية، اهدار للمال، ومفسدة للشباب .
فكان ينبغي ان يقابل قرار وزارة الصحة الكويتية بوضع قيود مشددة على حرية التدخين كان ينبغي ان يقابل القرار بالترحيب، لا بالرفض والسخرية .
○ ونقطة اخرى .. غريب ان نحتاج فيها الى قرار وديننا دين الطهر والنظافة، دين وضع طهر البدن، والثياب، والمكان، شرط صحة في الصلاة، دين يأمر بالغسل الواجب، والمسنون، والوضوء على الوضوء، وإماطة الأذى عن الطريق .
اذا كان هذا هو ديننا، فكان ينبغي ان يتولد فينا ضمير ينهانا عن

ارتكاب ما يسيء الينا والى غيرنا ، ولكن يبدو انه لم يعد يفيد الا القانون والعقوبات الرادعة ، ، ولذا صدر مرسوم بقانون - في دولة الكويت - يقضي بحظر بعض الافعال المضرة بالنظافة العامة والمزروعات ، وقد تضمن هذا :

القانون « ان اي مخالفة من المخالفات الآتية ستصل غرامتها من ٥ - ٢٠٠ د.ك » مثل :

أ - مخالفة القاء القمامة والأوراق والمحارم وعلب وأعقاب السجائر اوا لمخلفات أيا كانت على الأرصفة وفي الشوارع والطرق والميادين والساحات والمواقف والحدائق العامة .

ب - مخالفة البصق او التبول او التغوط في الأماكن المشار اليها اعلاه .

جـ - مخالفة إتلاف المزروعات والنباتات والأشجار وقطف الثمار في الشوارع والميادين والحدائق العامة واقتلاع الأشجار والنباتات البرية أينما وجدت في الأراضي العامة .

○ ونقطة ثالثة ..

أرأيت أخي ان في أيدي المسئولين ان يحملوا الناس حملا على ما فيه صالحهم ، وأن يمنعوهم عما فيه ضررهم ، وان رفض البعض ذلك ..

أرأيت أخي ان السلطان يستطيع ان ينصر دين الله ، وان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ..

لذا نأمل ان يتخذ حكامنا من القرارات مـا يعيد تعاليم الاسلام الى واقعنا في شتى مناحي الحياة السياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية .

أرأيت - مثلا - لو صدر قرار يأمر بأن تستر المرأة عورتها في الطريق كما أمر الله ، فهل كنت ترى امرأة متبرجة ؟!

ولو صدر قرار يحرم التعامل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل .. فهل كنت ترى آكلا من حرام ؟ وهكذا ..

دعاؤنا ان يوفق الله المخلصين من أبناء هذه الأمة الى العمل بشرع الله .

اللهم أمين



أ. د/ محمد فوزي فيض الله

بحث قيم قدمه الأستاذ الدكتور محمد فوزي فيض الله ـ أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة الكويت إلى ندوة وزارة الصحة الكويتية التي عقدت مؤخرا تحت عنوان « الرؤية الاسلامية لبعض الممارسات الطبية » ويطيب لـ « الوعي الاسلامي » أن تنشر على قرائها هذا البحث القيم لما له من فائدة عظيمة ، وما يحمل من إجابات على استفسارات تشغل بال المسلم المعاصر .. وكعادة أستاذنا في كتابته يقسم البحث إلى نقاط هي :

١ ـ قال الله تعالى في كتابه العزيز : **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الإسراء/ ٧٠ .

وتكريم الانسان ، بأنه سبحانه خلقه بيديه ، فأحسن خلقه ، وشق له سمعه وبصره ، وفضله على سائر المخلوقات : بالعقل ، والعلم ، والنطق ، والقدرة على الإبداع ؛ بما

زوده به من الاستعدادات التي أودعها في فطرته ؛ وأسجد له ملائكته ، وسخّر له ما في الكون ، واستخلفه في الأرض ، لنشر دينه ، وبث شرعه ، وإنفاذ حكمه .

٢ - وقد ابتنى على هذا التكريم ، وجوب الحفاظ على بقاء هذا النوع ، بأسلوب شريف نظيف ، ومنع الوسائل التي تؤذيه ؛ أو تضعفه ، أو تقطعه ، أو تميته ، إلا بحق :

فلا يجوز قتله ، لقوله تعالى : (**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ فنهى عن قتل الانسان نفسه ، وعن قتل الناس بعضهم بعضا ، وعما يؤدي إلى القتل والهلاك : كتناول المخدرات ، واستعمال السموم الضارة بالجسم ، والمجازفة فيما يخشى منه الهلاك .

ففي حديث « عمرو بن العاص ، أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال : احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكروا ذلك له ؛ فقال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فقلت : ذكرت قول الله تعالى : (**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ فتيممت ثم صليت ؛ فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل شيئا » رواه أحمد وأبوداود .

فعموم الآية حجة صحيحة ، تمسك بها عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في اجتناب ما يهلك ، مع أنه واجب شرعي ، لأن حفظ النفس مقدم على واجب الشرع .

٣ - ولا يجوز قتل النفس المؤمنة عمدا ، لعصمتها بالاسلام ، وبالمقام في ديار المسلمين ، إلا فيما نص عليه الشرع :

قال تعالى : (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** ..) النساء/ ٩٣ .

وقال : (**ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**) الفرقان/ ٦٨ .

وربما سمي ذلك كفرا ، كما في قوله - عليه الصلاة والسلام - في خطبته في حجة الوداع : « لا ترجعوا بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخاري .

وفي الصحيح عن أنس بن مالك ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين » رواه البخاري .

ولم يستثن الشارع من ذلك إلا اثنين :

- القتل خطأ ؛ وأوجب فيه الكفارة حقا لله ؛ والدية حقا للعبد .

- القتل بحق ، وهذا في حديث « عبدالله بن مسعود ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين ، التارك للجماعة » رواه البخاري .

- ولا يجوز الاعتداء على الانسان باطلاق حتى في حال القتال المشروع ، قال تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله**

الـذين يقاتلـونكم ولا تعتدوا) البقرة/ ١٩٠ أي قاتلوا في سبيل الله ، ولا تعتدوا في قتالكم للكفار ، واجتنبوا المثلة ، وقتل النساء ، والصبيان ، والشيوخ العجز ، وأصحاب الصوامع ، وقاتلوا من يقاتلكم . ففي حديث بريدة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : « أغزوا في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ؛ أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ؛ ولا تقتلوا الوليد ، ولا أصحاب الصوامع » رواه مسلم .

وإذا كان هذا هو هدي الاسلام في الحرب المشروعة فما الظن بهديه في السلم ، وفي بلاد الاسلام ، وفيما بين المسلمين ؟

ويقول أهل العربية : إن حذف المتعلق أو المفعول ، في قوله : «ولا تعتدوا » مؤذن بعموم النهي عن الاعتداء بإطلاق ، أي لا تعتدوا على أحد ؛ وما الاعتداء إلا مجاوزة ما ينبغي الاقتصار عليه ؛ سواء أكان في النفس أم كان في غيرها ؛ كما في قتل الحيوان ؛ وتحريق الأشجار ، لغير مصلحة ؛ وسواء أقل العدوان أم كثر .

ويشتد الإثم في الاعتداء على المسلم ، فضلا عن الذمي الكافر بل لا يجوز إيذاء المسلم بقول ولا فعل ولا نظر لأن « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » متفق عليه و« لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه » رواه ابن المبارك مرسلا و« لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » رواه احمد وأبوداود والطبراني . نصوص كثيرة من السنة تحرم إيذاء المسلم ، فضلا عن اقتطاع الأعضاء ، هذا الذي نواجهه في هذا البحث .

٥ ـ ولا يحل التصرف في الانسان المكرّم عند الله ، ببيعه أو بيع أي عضو منه حيا ولا ميتا ؛ ولا ينعقد ذلك البيع ، بل هو باطل ، يلزم نقضه ، ولا يقبل الاجازة ، ولا تسري عليه أحكام التقادم ؛ ولا يلزم بالقبض ولا بالشروط ؛ ولا يترتب عليه حكم من الأحكام التي تترتب على العقد الصحيح ـ كما يقول الكاساني .

ففي حديث «أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه . ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ، ولم يعطه أجره » رووه أحمد والبخاري .

وهذا الحديث الصحيح من الأحاديث القدسية ـ وان رواه السيوطي مختصرا ، غير مسند إلى الله عز وجل . (أنظر الجامع الصغير بشرح المناوي) .

والحديث يدل على تحريم بيع الحر ، وَعِظَم ذنب هذا البائع ، المنتفع بثمنه ، على أي وجه كان الانتفاع ؛ لأن من باع الحر كان غاصبا لعبد من عباد الله ، وليس لأحد غير الله سبيل عليه ؛ فالمغصوب منه ، وهو رب العالمين ، خصم للغاصب .

ولهذا لم يختلف الفقهاء في أن بيع الحر لا يجوز ؛ قال ابن المنذر : « وأجمعوا على أن بيع الحر باطل » .

٦ ـ والفقهاء يعللون عدم جواز بيع

الحر ، ولا بيع اعضائه ، بعدم ماليته ؛ اذ من شروط صحة عقد البيع ـ بالاجماع ـ أن يكون محله قابلا للتعاقد ، وذلك بأن يكون : مالا متقوما مملوكا جائز الانتفاع به ..

والآدمي في مجموعه ، لا يقع تحت اليد ، ولا يقبل التملك ولا التمليك ، لأن محل الحقوق والعقود ، هو الأموال والأشياء ، والآدمي ـ كما يقول السرخسي ـ « خلق مالكا للمال ، وبين كونه مالا ، وبين كونه مالكا للمال ، منافاة »

فإن صرح الحنفية بأن أطراف الانسان ـ كاليد والرجل والعين والأنف والأذن ونحوها ـ يسلك بها مسلك الأموال ـ كما يقول الكاساني (بدائع الصنائع) . فهذا لا يعني ماليتها ، ولا أنها أموال حقيقية ، بل أنها تضمن بالدية والمال ، في حال سقوط القصاص بسبب ما ؛ كما في حال الإذن ، أو الأمر بقطع اليد ـ مثلا ، إن كان القاطع غير طبيب . لأن الأمر بالقطع أورث شبهة ، والشبهة هنا ، لها حكم الحقيقة ؛ لكن يضمن دية اليد ، لأن عصمة دم المسلم قائمة مقام الحرمة ؛ وسقوط القصاص للشبهة لا يمنع وجوب المال للحرمة .

٧ ـ غير أن الفقهاء مع تقريرهم عدم قابلية الانسان وأجزائه للتعاقد ، استثنوا لبن الظئر (المرضع) فهو وان كان جزءا من المرضع ، ولا يكون محلا للعقد ، لكنهم أجازوا عقد الرضاعة ، الذي يرد على اللبن ذاته ، استثناء واستحسانا للضرورة ، نظرا للطفل ، لأن حقه في الحياة وذلك بالغذاء باللبن أهم من كرامة الانسان ، وحفظ الحياة على النفس الانسانية راجح على الاعتبارات المعنوية لأن هذه صفات الذات ، وتلك بها قوام الذات نفسها ؛ فلهذا أبيح هذا العقد ، لمكان الضرورة ؛ ومواقع الضرورة مستثناة في الشرع .

واعتبر الفقهاء عقد الرضاعة عقد إجارة ، وهو استئجار المرضع لتغذية الطفل بلبنها . ولما كان العقد واردا على استهلاك العين ، وهي اللبن ؛ والإجارة ـ في الأصل ـ ترد على المنفعة لا العين ، فقد كان مقتضى القياس الفقهي عدم جوازها ، فلذا قرروا أن استهلاك العين ، وهي اللبن ؛ ليس مقصودا ، بل هو تبع لخدمة المرضع للصبي ـ وكم من أمر لا يجوز أصالة ، ويجوز تبعا ؟ فكذا لبن المرضع ، لا يجوز العقد عليه استقلالا ، لأنه جزء الآدمي ، ويجوز تبعا .

وهذا التكييف الفقهي استحسان ، دليله النص ، وهو قوله تعالى : (**فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن**) الطلاق/٦ .

٨ ـ العلاج بأعضاء الآدمي الميت

ولما ذكرنا من كرامة الانسان لم يستجز فقهاء الحنفية والجمهور ـ بوجه عام ـ الانتفاع بأجزاء الآدمي ، في العلاج وغيره ، سواء أكان حيا أم كان ميتا ؛ وأجازوا التداوي بما سوى الانسان من الحيوان ، ولو كان ميتا ، مذكى أو غيره ، من عظم أو طرف ، وذلك للضرورة ، سوى الخنزير ،

لنجاسته . الفتاوى الهندية (ط) الثالثة .

والضرورة في الاصطلاح الأصولي : نازلة لا يمكن التغلب عليها إلا بارتكاب محظور يباح لأجلها .

ومع ذلك فقد قيد الحنفية الانتفاع بأجزاء الحيوان الميت ، للعلاج :

★ - بأن يرى ذلك طبيب مسلم .
★ - وأن يتعين شفاؤه به .
★ - وأن لا يكون في المباحات ما يقوم مقامه . الدر المختار .

أما الشافعية فربما كان مذهبهم أوسع من غيرهم في الانتفاع بأجزاء الآدمي اذا كان ميتا ، فأجازوا للمضطر أكل لحمه ، وعلله الامام النووي - رحمه الله - بأن حرمة الحي آكد من حرمة الميت . (المجموع للنووي) . كما أن المفسدة المترتبة على أكل لحم الانسان ، دون المفسدة المترتبة على موته .

ونقل عن الشيرازي وجمهور الشافعية الجزم به .

ونقل عن الدارمي بين ما اذا كان الميت كافرا فيحل أكله ، وبين ما إذا كان مسلما ، ففيه وجهان .

ولو كان المضطر ذميا ، ووجد مسلما ميتا ، ففي حله عندهم وجهان : وذكر النووي أن القياس تحريمه عليه ، لشرفه . المجموع للنووي .

ويبدو أن ضرورة العلاج ، بنقل أجزاء الآدمي الميت الى الحي ، ، هي كضرورة تناول لحم الميت ، بل هي أولى ؛ لأن تناول اللحم الميت إتلاف له لاستبقاء الحياة ، أما نقله إلى الحي فهو ابقاء له ، مع استدامة الحياة للحي .

٩ - الانتفاع بأجزاء من الآدمي الحي :

أما الانتفاع بأجزاء الآدمي الحي ؛ بأكلها للمضطر ، وكذا لضرورة العلاج - فيما بدا - فقد طرح الشافعية فيه أربع صور :

الأولى : أن يكون المقتطع منه حلال الدم ، غير معصوم بإطلاق ، كالحربي والمرتد فهذان يجوز للمضطر قتلهما وأكلهما بلا خلاف .

الثانية : أن يكون المقتطع منه معصوما في الأصل ، لكن طرأ حل دمه بمعصية جعل الشارع حدها القتل ، وهذا كالزاني المحصن والمحارب (وهو الباغي الخارج على الإمام العادل) وتارك الصلاة ؛ فقد ذكر النووي في قتلهم وأكلهم وجهين : أصحهما الجواز . قال : « لأنا إنما منعنا من قتل هؤلاء ، تفويضا الى السلطان ، لئلا يفتات عليه ، وهذا العذر لا يوجب التحريم ، عند تحقق ضرورة المضطر» .

الثالثة : أن يكون المقتطع منه حل دمه بحق للقاطع عليه ، كحق القصاص لولي الدم على القاتل عمدا ؛ فهذا الذي قرر النووي جواز قتله قصاصا ، وأكله سواء أحضر السلطان قتله أم لا ..

الرابعة : أن يكون المقتطع منه معصوما ، كالذمي والمعاهد والمستأمن فهؤلاء يحرم قتلهم للأكل ، بلا خلاف .

١٠ ـ وإذا كانت ضرورة العلاج كضرورة الأكل، فإنه ينبغي ـ في الظاهر ـ منع الاقتطاع من أصحاب القسم الثاني الذين ذكرهم الإمام النووي، وهم: الزاني المحصن، والمحارب، وتارك الصلاة؛ لأن حدهم قتلا لحق الشرع واقتطاع أجزاء من جسمهم زيادة في الحق أو الحد، لا تجوز في الشرع، إلا أن يأذنوا بها.

وينحصر جواز الاقتطاع في النوع الأول، الحربي والمرتد، لأنهما عاديا أهل الاسلام: الأول باستحلاله الدماء والبلاد في ديارنا؛ والآخر بخروجه عن جماعة الاسلام، وصيرورته عدوا للمسلمين.

كما ينحصر جواز الاقتطاع أيضا في النوع الثالث؛ وهو القاتل العامد بشرط أن لا يؤدي الاقتطاع الى التمثيل، الذي نهى عنه الشرع، لأن المشروع هو قتل المذكورين، والشارع أمر بإحسان القتل بإطلاق بحديث «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ...» رواه الامام احمد ومسلم. فإذا لم يؤد الاقتطاع إلى التمثيل والتعذيب، كان جائزا.

١١ ـ انتفاع المضطر بشيء يقتطعه من بدنه:

قرر النووي في هذه المسألة وجهين: أحدهما: لأبي اسحاق، وقد استجازه، لأنه إحياء نفس بعضو، فجاز، كما يجوز أن يقطع عضوا اذا وقعت فيه الآكلة، (لعلها الغرغرينا) وذلك لإحياء نفسه.

والآخر، لبعض الشافعية، أنه قال: لا يجوز، لأنه إذا قطع عضوا منه كانت المخافة عليه أكثر.

ويبدو أنه إذا كان المقطوع عضوا يقطع بالهلاك باقتطاعه، أو بما في معنى الهلاك بالاقتطاع، كالشلل، لا ينبغي أن يجوز، لأنه عندئذ كالانتحار، وتعجل الموت وقد نهي عنه في حديث:

«من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا؛ ومن تحسى سما فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم، خالدا فيها أبدا؛ ومن قتل نفسه بحديدة، فهو يتوجأ (يضرب) بها في بطنه، في نار جهنم خالدا فيها أبدا» رواه الامام احمد ومسلم والترمذي والنسائي والدارمي.

أما إذا كان المقطوع عضوا يقطع بعدم الهلاك باقتطاعه، بالتجربة، أو بعملية الطبيب الحاذق، فينبغي أن يجوز الاقتطاع، كما في اقتطاع اليد والاصبع والكلية، ونحوها.

ومن الواضح أن هذا الاقتطاع مشروط:

أ ـ بأن لا يغني عنه غيره.

ب ـ وبأن لا يفضي الى الهلاك ونحوه.

١٢ ـ اقتطاع عضو من الآدمي الحي، لعلاج غيره:

نص الامام النووي على هذه المسألة، وقرر:

١ ـ أنه لا يجوز أن يقتطع الانسان لنفسه من معصوم غيره، بلا خلاف.

٢ ـ وأنه «ليس للغير أن يقطع من

أعضائه شيئا ليدفعه الى المضطر ، بلا خلاف ؛ صرح به إمام الحرمين والأصحاب » (المجموع) .
كما نص الحنفية على أنه « لا يأكل المضطر طعام مضطر آخر ، ولا شيئا من بدنه » الاشباه والنظائر لابن نجيم وعللوه بأن الضرر لا يزال بمثله .

١٣ - إباحة الحي اقتطاع عضو منه لمعالجة غيره به :
هذه صورة أثيرة ، من صور الإيثار على النفس ، والإحسان المرغب فيه ؛ ومن مشمولات قول الله تعالى : **(ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** المائدة/٣٢ ولا مرغوب فيه أعظم أجرا من هذا .
غير أنه يؤخذ من ظاهر نصوص الحنفية ان الاقتطاع لعلاج المقتطع منه جائز ، لا لأكل المضطر ؛ فقد نصوا على أنه لو قال رجل لآخر : اقطع يدي ، فقطعها : « فإن كان (القطع) بعلاج - كما إذا وقعت في يده أكلة - فلا بأس به ؛ وإن كان من غير علاج لا يحل » (رد المحتار على الدر المختار)

ويقول ابن عابدين : « إن قال له آخر : اقطع يدي ، وكلها ، لا يحل ؛ لأن لحم الانسان لا يباح في الاضطرار ، لكرامته » . (رد المحتار على الدر المختار .

١٤ - فبناء على هذا لايبيح الحنفية لحم الانسان للأكل عند الاضطرار ، مطلقا ، لا لنفسه ، ولا لغيره ، وذلك لكرامته .

وكذلك لايجوز عندهم قطع اي جزء من أجزائه ، لغير العلاج ، ولا تعليل لهذا إلا ماعلل به الاول ، وهو الكرامة .
أما اقتطاع جزء منه لعلاجه هو ، فهذا جائز عندهم ، للضرورة كما في النص الأول المنقول عنهم ، وظاهره أنه لايجوز القطع منه لعلاج غيره ، فكأن علته انتفاء الضرورة ، وهي هنا : خوف الهلاك والتلف ، بل المخوف منه هلاك المقتطع منه .
لكن ، هل يمكن أن يقال : إن الحنفية أجازوا الاقتطاع للعلاج ، فهذا هو المبدأ ، وإن كان لعلاج نفس المقتطع منه ، وخوف هلاكه ، غير أن خوف هلاك غيره ، كخوف هلاك نفسه ، بجامع وصف الإحياء في كل ؟
والإحياء مطلب مؤكد شرعا ، مرغب فيه بالآية السابقة !
وقد نص الحنفية وغيرهم ، على أن من وجد إنسانا مشرفا على الهلاك غرقا ، وهو قادر على إنقاذه ، فلم يفعل ، حتى مات ، فإنه يأثم بذلك ، بل قال بعض الحنبلية إنه تلزمه ديته .
وإذا ، فما المانع من جواز الاقتطاع من الانسان لعلاج غيره ، إذا كان بإذنه ، بهبته في الحياة ، أو وصيته بعد الوفاة ، ونحوهما من التمليكات ، بغير عوض ، بالشروط التي سنذكرها ؟

فإن قيل : إن الحنفية نصوا على أن لحم الانسان لايباح في حال الاضطرار لكرامته ، كما تقدم !

فقد يمكن الجواب : بأنهم نصوا على عدم جواز إباحته بالأكل للإتلاف وفي الاتلاف إهدار لكرامته ، أما الاقتطاع لعلاج الآخرين فليس فيه إتلاف . لأجزاء الانسان ، ولا إهدار لكرامته ، ليكون ممنوعا ، بل هو إنقاذ لحياتهم ، واستبقاء لذلك الجزء المقتطع ، ببقاء ذلك الانسان المعالج به ، وليس في هذا إهانة ، بل هو إغاثة ، وإحياء وإعانة ، وعمومات الشرع وإطلاقاته لا تأبى ذلك ، بل تحث عليه ، وتندب اليه .

١٥ ـ ومع ذلك ، فينبغي أن يكون الاقتطاع مقيدا بهذه الشروط التالية :

○ ـ أن يكون بإذن مطلق من المقتطع منه ، فلو كان بغير إذنه : حرم ، فإن ترتب عليه هلاك النفس ـ مثلا ـ او تلف عضو ، كان المقتطع ضامنا ، وإن كان عامدا وجب فيه القصاص .

○ ـ أن يكون المقتطع منه الذي أذن ، مكلفا مختارا غير مكره ، وهو من أهل التصرف ، لأنه بالإذن بالاقتطاع إنما يتصرف في خالص نفسه ، وهو يملك التصرف فيها بما لايخالف الشرع .

○ ـ أن يكون الآذن بالاقتطاع متبرعا به ، لأن الاجماع على أنه لايجوز بيع الآدمي ولابيع أجزائه «احترما له ، والابتذال بالبيع يشعر بالإهانة» ـ كما يقول الكاساني ـ «بدائع الصنائع» والآدمي بجميع أجزائه محترم مكرم وليس من الكرامة والاحترام ابتذاله بالبيع والشراء (بدائع الصنائع)

○ ـ أن لايؤدي التبرع بشيء من الأعضاء إلى هلاك المتبرع أو تعطيله عن واجباته الحيوية والدينية .

○ ـ أن يكون الإذن بالاقتطاع صادرا من الآذن به في حياته ، أو من ورثته بعد وفاته .

○ ـ أن لايترتب على الإذن بعد الوفاة تمثيل بالميت لان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن المثلة وقال : «إنكم ستجدون مثلة لم آمر بها» (رواه أحمد والبخاري)

○ ـ أن يكون تنفيذ الاقتطاع بعد تحقق الوفاة ، إذا كان العضو المقتطع يؤدي حتما إلى الوفاة ، كاستلال القلب أو الرئة ، وذلك لكيلا يفضي إلى تعجل قتل إنسان فيه حياة مستقرة ، وهي إمكان العيش ، بتفسير الفقهاء .

وليس لمجرد قرب الوفاة ـ كالمحكوم عليه نهائيا بالاعدام ـ أثر في حل الاقتطاع : بل هو حينئذ كالانتحار إن كان بإذنه ، وقتل للنفس بغير حق ، إن كان بغير إذنه ، وكلاهما حرام والآخر يستوجب الضمان عند الفقهاء .

○ ـ وأن يكون الاقتطاع لإنقاذ الغير ، بحيث لايغني عنه سواه ، من أعضاء أي حيوان ، أو أي عضـو صنـاعي ، وذلـك لتحقق الضرورة ، لأن الأصل تحريم ذلك ـ كما تقدم ـ .

١٦ ـ شراء أعضاء الانسان

قد ذكرنا أن الانسان الحر ليس محلا للبيع ، وأن بيعه أو بيع بعض أجزائه غير منعقد بالاجماع .

غير أنه أذا اضطر المريض ، إلى صلة عضو من غيره بجسمه ، ولم يجد له من يتبرع بذلك العضو ، وليس له بديل صناعي ، جاز له الشراء ، بالشـروط المتقدمـة في الاقتطـاع مـن الأحيـاء وذلـك للضرورة ولا إثم عليه ، وإنما الإثم على البائع .

وفي هذا ونحوه يقول الله تعالى : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) الانعام ١١٩

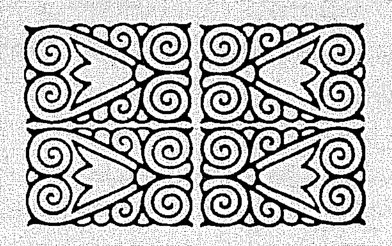
وفي الفروع مايشير الى جواز الشراء ، مع حرمة البيع فقد نص الحنبلية على أن بيع المصحف حرام ولو كان في تسديد دين .

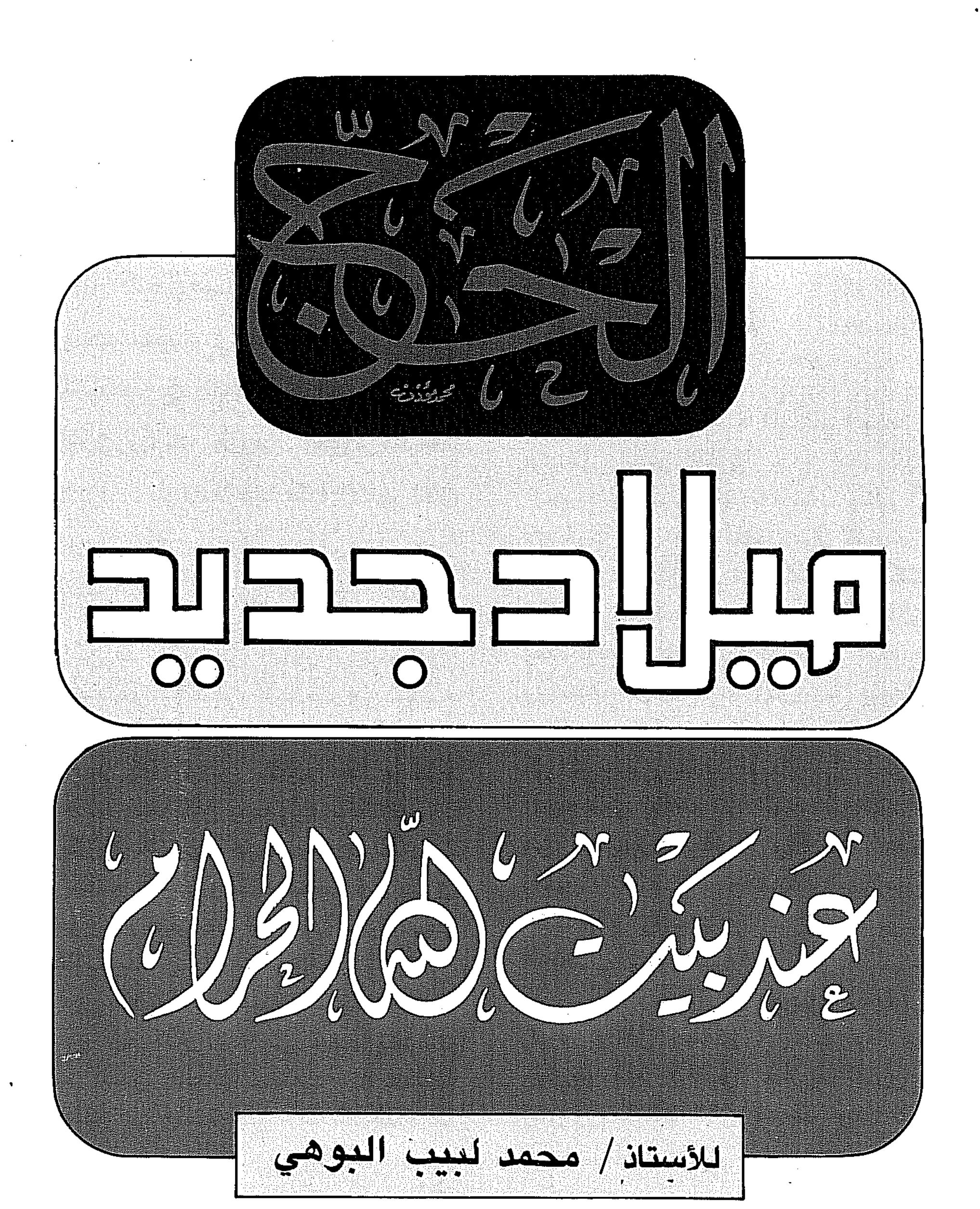
قال الإمام احمد ـ رحمه الله ـ «لانعلم في بيع المصحف رخصة» . وقـال عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما «وددت أن الأيدي تقطع في بيعه» وقال الحنبلية في تعليل ذلك : لأن تعظيمه واجب وفي بيعه ابتذال له ، وترك لتعظيمه .

أما شراء المصحف فقد نصوا على أنه لايكره لأن الشراء بمثابة استنفاذ له كشراء الأسير من المحاربين .

. . . .

والحمد لله أولا و آخرا
وصلى الله على خير خلقه ، سيدنا محمد وآله وصحبه .





رحلة الحج هي الرحلة الوحيدة في الحياة الدنيا التي تحمل إلى صاحبها روح الجنة ويستروح في حياته بنسيمها ومباهجها ... وهو ما يزال انسانا يمشى على الارض ... فما اعظم وأجمل الحياة أياما في رحاب الله ... حيث يعيش المرء أيامه تلك في ذكريات عطرة وفي جو المناخ الذي عاش فيه رسول الله واصحابه ، والبقاع التي نزل فيها الوحي الأمين برسالة الحق المبين ... إن لكل ذرة من هذه البقاع عطر ومناخ وتاريخ وجرعات نورانية روحانية مما يلازم المرء من بعد عودته الى نهاية أيامه وتظل بركاتها معه في قبره ، ويستنعم ببركاتها في برزخه ويلازمه ثوابها إلى يوم يبعث الخلق لرب العالمين .

ذكريات استميحك عذرا في ان أقص عليك بعضا منها ، فمنذ سنوات ليست بعيدة في عمر الزمن وهي بالتحديد في العشرينيات من هذا القرن وكانت ظروف الحياة تختلف كثيرا ... أو قليلا عما عليه الامور الآن كانت هناك مودات وتراحم وانوار محبة اطفأ التمزق الكثير منها ...

ولكن قد يكون من الخير ان نعود إلى بعضها .. فإن الذكرى تنفع المؤمنين ... في سنوات الطفولة في هذا العهد كنا ندرس كتاب الله ونحفظ بعضه فيما كان يسمى ـ بالكتاتيب ـ وكان في كل قرية مهما صغرت كتاب ـ (بضم الكاف والتاء المشددة) ـ وفي جوار كل مسجد أو زاوية كان هناك كتاب يجلس فيه معلم واحد ... شيخ وقور كنا نناديه بسيدنا ـ وكنا نحفظ بغير فهم كثير ... ولكن عندما تقدمت بنا السن اخذنا نستعيد ما حفظنا ونفهم بل ونستوحي مما حفظناه ما نخطب به وندعو ونكتب ... ان التعليم في الصغر كالنقش كما يقال على الحجر ... فما زالت تعيش بيننا كتابات سجلها الأقدمون منذ مئات القرون ... وحبذا لو يدرك الجميع ذلك ويلقنون الصغار ما يتذاكرونه كبارا عندما تنضج الافهام ... هكذا كان شأننا في طفولتنا مع سيدنا . وكنا نوقره ونحبه ونجلس بين يديه متأدبين في رحاب هيبته ... ولم يكن جهده يقف عند الاطفال ... بل كان كثير من الكبار من أهل القرى يجلسون بين يديه فيما بين مواعيد الصلاة يسألونه ويفتيهم

★★★

وكانت أعظم هذه المباهج اجتماع سيدنا بالذين قرروا حج بيت الله الحرام يسألونه ويستفتونه ، وكان في كل قرية مثل هذا المفتى وفي كثير من الأحيان لم يكن على علم كثير ... ولكنه كان قد حفظ تماما هذا القليل الذي يسألونه عنه من أصول الحج وواجباته واركانه ، وكل ما يتصل بذلك .. فيجلسون اليه ليستمعوا إلى كل شيء من هذا القبيل من شئون الحج من الالف إلى الياء ... ابتداء من تحضير النية ... واعداد العدة وابراء الذمة ـ واعداد ملابس الاحرام والتطهر ... إلى ركوب الجمال ـ والتلبية في كل مكان ـ إلى .. إلى ... إلى ان يعودوا فنجلس إليهم ونحن صغار في حب وتقدير وتكريم فقد ذاقوا حلاوة الروح وعرفوا ما لم نكن نعرف وما كنا نتشوق الى معرفته .

ان هؤلاء قد ذاقوا وعرفوا ـ والمثل يقول من ذاق عرف فكنا نتمنى مثلهم ان نذوق وان نعرف .. كانت وجوههم تنضح نورا بعد العودة ويعيشون ايامهم في ذكريات حلوة ومباهج ما شاهدوا وعملوا واستحضار الذاكرة لصور حياتهم هناك في ارض النور ، وبقدر ما في هذه الذكريات من سعادة

فهي عبادة ... ومن فضل الله انه سبحانه يثيبنا على اشياء كثيرة كمجرد الجلوس في المساجد ـ فإن انتظار الصلاة صلاة ـ وفي بيت الله الحرام ليس الأجر للمصلين فحسب بل كذلك للطائفين والعاكفين ، فإن النيات إذا صدقت يباركها الله وتتفتح لها الابواب .

ظللت سنوات وسنوات أشارك سعيدا في توديع الحجيج المسافرين واستقبال العائدين كما أسارع إلى ما كان يسمى في القاهرة باحتفال المحمل وكان ذلك كما ذكرت في عشرينات هذا القرن .. وهذا الاسم كان يطلق في العشرينات وما قبلها على اعداد كسوة الكعبة المشرفة التي كان يحملها جمل من دار كانت تسمى بدار الكسوة بقرب قلعة القاهرة ويسير الحفل يتقدم الجميع محافظ المدينة ممتطيا جوادا عربيا اصيلا مطهما ، وعلى الجانبين في الطرقات جمهور من الناس تنضح وجوههم بالبشر ... مع الاناشيد الدينية بأصوات عذبة منسقة طالبين الدعاء من حجاج بيت الله

وتقدمت بي السن إلى العشرين ثم الثلاثين والاربعين ومشاغل الدراسة وكسب الرزق وهموم العيال ... وكان يقال لنا حقا او بغير حق انه لا داعي للحج قبل الزواج .. ولكن لماذا لا يكون الحج قبل زواج أو بعده دون تحديد ميقات لذلك ، ما دامت الظروف قد تهيأت وتوافرت الأسباب .. ؟

ومهما يكن من أمر فقد كان الشوق قائما يزداد يوما بعد يوم والنية صادقة ، فلو مات الانسان على نية طيبة فقد يرجى له القبول ، وفضل الله كبير ، فقد حفظنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الأعمال بالنيات .. وقد تكون النية خيرا من العمل فلو سافرت مثلا الى بلد بعيد أحمل صدقات لقريب او فقير فوجدته قد مات فلن يضيع الثواب وقد يزداد بسبب احتمال المشقات .

ظل الشوق إلى حج بيت الله قائما في أعماق النفس ، وكنا ونحن صغار نرسم الكعبة على اوراق الكراسات ونجلس الى جوار سيدنا في الكتاب فرحين سعداء في كل حفل لتكريم العائدين من بيت الله .

ومرت السنوات كما أسلفت ـ وحان الميعاد .

وكل شيء بقدر وأوان .. وكانت أيام المحمل قد مضت مع الزمن وصار امر الجمل والسفر على الجمال تاريخا ... ثم تطورت الأمور وجاءت الطائرات ـ والسيارات المكيفة الهواء ... واصبحت الرحلة إلى بلد الله متعة روحية تهفو إليها افئدة المؤمنين حتى كأنها سياحة لا تنقص من أقدار الثواب لعباد الرحمن ففضل الله عظيم . والذين يقصدون ابواب كرمه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولكثرة الشوق والتفكير ارتسمت في أعماق النفس صور الحج ومناسكه التي كان يحملها إلينا جهاز الاذاعة المرئية (التلفاز) فكأني اطوف مع الطائفين ، وأسعى مع الساعين بين الصفا والمروة ويطيب لي التأمل في صورة جبل الصفا فقد قيل لنا عن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم

للجلوس كثيرا عند الصفا ولقد اتصور صورا عن سيف الله حمزة ـ وعن ابي بكر وعمر وغيرهم من الذين اضاءوا الدنيا بانوار الايمان وصدق الجهاد وحب الله ورسوله .

ما أروع وأجمل هـذه المباهـج النفسية ، وكم هي عظيمة تلك الثروة الروحية التي سأعود بها لتظل تنير طـريقي طوال مـا بقي من ايـام الحيـاة ... ورحت أدرس المناسـك والاركان والواجبات . وكل ما يلزم قبل السفر من ابراء الذمة ـ والتوبة ـ والتطهر ـ واداء الحقوق فما يصح الوقوف بين يدي الله والنفس مكبلة باغلال المعاصي ..

كان لابد من التجـرد (**اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)** طه/ ١٢ وقيل في تشبيه النعلين انهما النفس والجسد . النفس بشهواتها الارضية والجسد بنزواته الترابية .. همـا كنعلين نحـاول خلعهما قبـل السفر ... أيتها النفس ان الله يحب التوابين فتوبى ... وانه تعالى يحب المطهرين فتطهري . وإلا فبأي وجه ستقفين في ظلال رحابه ؟ ايتها النفس صفى حسابك مع الدنيـا فقد لا تعودين إليها . وصفى حسابك مع خلق الله فان الحساب عن حقوق الناس عظيم ـ وانت أيها الجسد كن في اجازة إلى حين ، فسوف اذهب بالروح لتعود بيضاء نقيـة تحسن قيادك في سراديب الدنيا ـ فلا تصبح لها ايها الجسد اكثر من مجرد مطية في شئون دنياك .

وفي المطار كان منظر الألوف في ملابس الاحرام البيضاء كأنهم بحر من نور تسبح أمواجه في سماء التلبية التي تشق كلماتها عنان السماء .

لبيك اللهم لبيك ـ لبيك لا شريك لك لبيك ـ ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك .

وكـذلك كـان الأمـر في جـوف الطائرات التي كان يخيل إلي انها طيور تطير بأجنحة من نور تقودها ملائكة الرحمن ــ وصوت خليل الله ابراهيم عليه السـلام (**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم)** ٣٧/ ابراهيم

وهاهي الافئدة يا خليل الله جاءت تسعى ملبيـة سعيدة ... منـذ ان ناجيت ربك وناديت ومنذ أن كانت أرضا غير ذي زرع حتى صارت جنة في ارض الله ..

نعم يا أبا الانبياء لقد جاء أصحاب الافئدة بداية على الأقدام . ثم فوق الناقة والبعير ... وهاهم يجيئون من بقاع الارض طائرين في ساعات وقد يجيئون بعد ذلك في صواريخ الفضاء من كواكب السماء ... فالملك لله وحده وهو سبحانه يخلق ما لا تعلمون ..

وازدادت نغمات التلبية عذوبة ونقاء وارتفاعا حين الوصول الى جدة في مطارها الانيق ، والسيارات المكيفة في الانتظار .. وسارت على بركة الله حتى صاح صائح لقد ظهر البيت يا رجال ، فارتفعت الحناجر في ضراعة تردد . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا ، وزد من شرفه ممن حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا اللهم

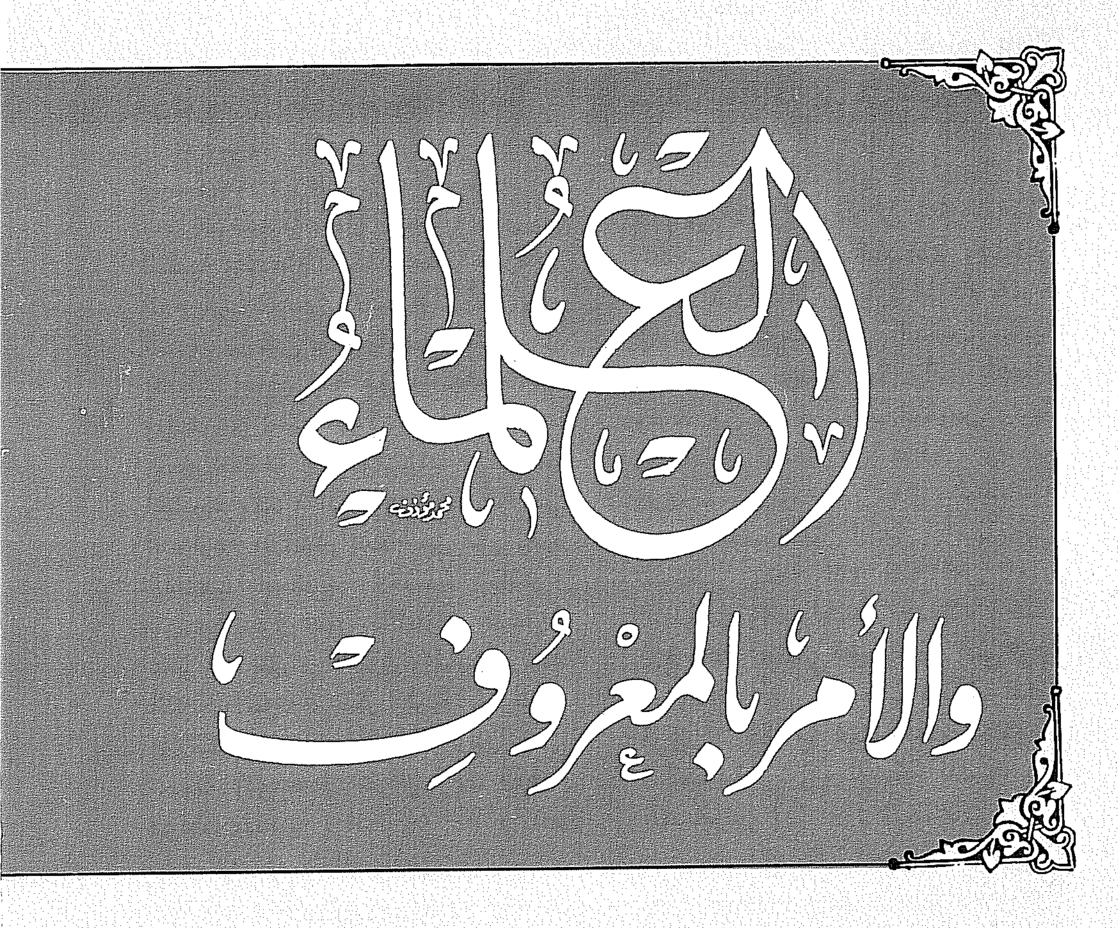
انت السلام فحينا ربنا بالسلام وزد من حجه او اعتمره بركات وتكريما ..

ووضعنا متاعنا في دار المطوف وأسرعنا في طهارة الوضوء إلى الطواف سبعا حول البيت ، مكررين التلبية والدعاء - لقد اعطتنا شركات الطيران كتابا عن الأدعية .. ولكن خير الدعاء ما كان صادرا من القلب وكل إنسان ادرى بما هو في حاجة إليه ويدعو من أجله ، والاستجابة كما وعد الله مفتحة الابواب ... والكعبة المشرفة تتلألأ الكلمات المنقوشة على استارها وكأنها أشعة من نور يغزو القلوب فتمتلىء الافئدة بانوار الهداية ، وفي اشواط الطواف ندعو في عمق ونتأمل في الكون والحياة وسنة الله في كونه ، فكل شيء يطوف .. الملائكة تطوف حول العرش وهي تحمله (**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**) الحاقة/ ١٧ والقمر واخواته في طواف حول الارض .. والارض والكواكب من توابع الشمس تطوف حولها ، والشمس ونجوم السماء تطوف وتطوف - هل نرى في طواف هاتيك المخلوقات تسبيحا لا نفقه الا صورته .. ؟

وهنا في الحجر او قريبا منه كان اسماعيل الصغير يصيح في طلب الماء الذي لا توجد منه قطرة في واد غير ذي زرع وامه السيدة هاجر تهرول في هلع بين الصفا والمروة بحثا عن ماء للطفل الصغير ، وكذلك نفعل ، والسعي يذكرنا بالواجب نحو العمل والكفاح وواجبات الحياة ... ثم هاهي بعد الهلع تعود مسرعة سعيدة بعد ان هبط جبريل عليه السلام فمس الارض بإذن ربه فتفجرت عين زمزم التي سيظل عطاؤها إلى ان تقوم الساعة فشربنا سعداء مكررين الدعاء ... فزمزم لما شربت له - ثم تتحلل من ملابس الاحرام بعد ان تتم المناسك ونقضى اياما في العبادة والذكر والقراءة والتأمل وزيارة اماكن كثيرة في مكة المكرمة التي أدخلت عليها المملكة السعودية وما زالت تفعل وتزيد من كل ما يزيد النفوس راحة وجمالا في انتظار يوم عرفه - والحج عرفة - رمز الحياة والبذل والتضحية التي لا تقدم لسنن الكون الا بها حتى نستحق رحمة الله كما كان امر اسماعيل وابيه عليهما السلام (**فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**) ١٠٢/ الصافات .

وبعد الامتثال لامر الله واحتمال عناء التكليف يأتى الفرج والفداء ، وما رمى الجمرات بقوة في منى الا رمز لاستحضار قوى العزيمة والارادة المصممه على انتزاع الاهواء من النفوس والالقاء بها في وجه الوسواس الخناس (**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**) **٦/ فاطر**

وبعد اتمام كل مناسك الحج تحس اننا قد ولدنا من جديد ... لقد ولدت الامهات الاجسام أما في الحج فقد ولدت الروح من جديد فسبحان الله والحمدلله وسلام الله وصلواته عليك يا رسول الله إلى يوم نلقاك .

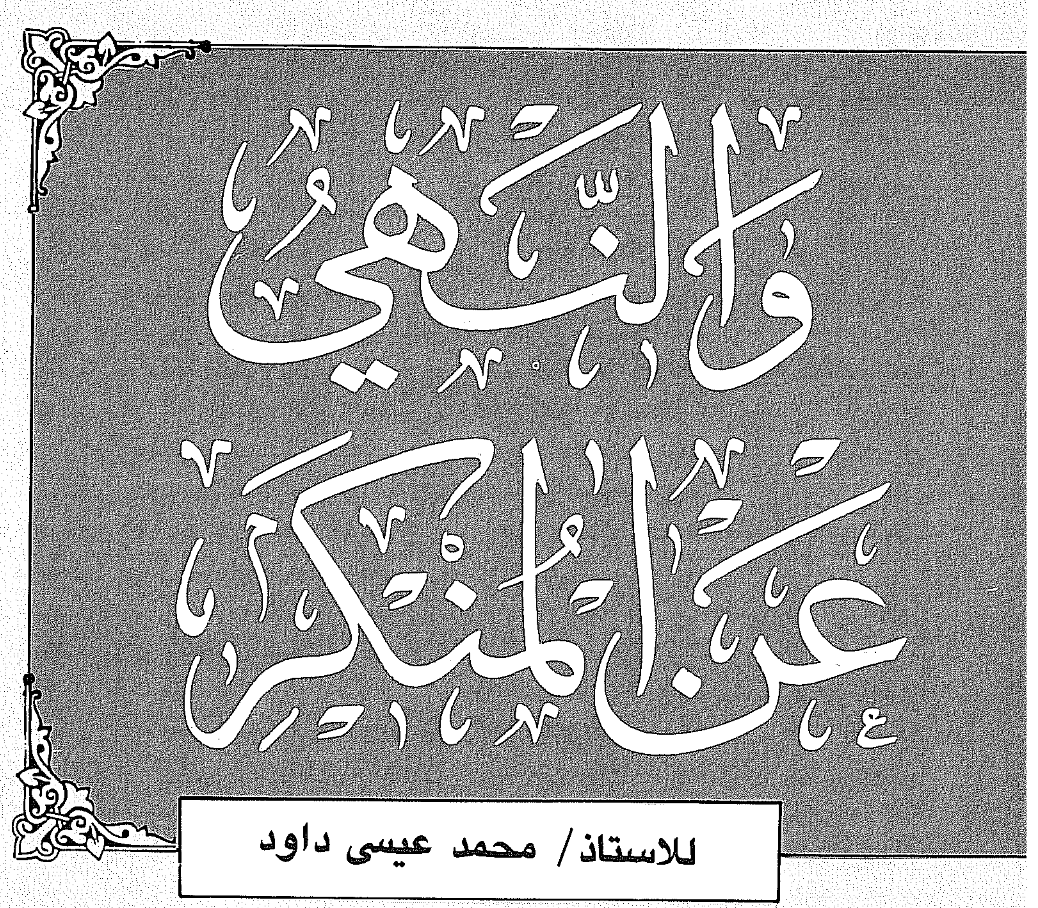


كان لتربية القرآن الكريم وتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم الأثر البالغ في إيمان الأمة وتطبيقها لفريضة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، ومقاومة مظاهر الانحراف ، والوقوف في وجه الظلم والظالمين ، والفساد والمفسدين .

ولقد كان العلماء وقادة الرأي وكثير من عامة مثقفي المسلمين يضحون بحرياتهم ومناصبهم ، ويخاطرون بأرواحهم في سبيل القيام بحق هذه الفريضة حتى في أحلك العصور ، وأشدها بعدا عن منهج الاسلام في الحكم .

وكان العلماء ـ بصفة خاصة ـ يمثلون الرأي العام أصدق تمثيل . ويعبرون عن مشاعر الجماهير ورغباتهم ومطالبهم ، ويقاومون الظلم الذي يقع عليهم ، ومن أجل ذلك كانت الجماهير تعترف لهم بالفضل ، وتسلم لهم قيادة أمورهم ، وتدين لهم بالحب والولاء ، لأنها ترى فيهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة في البذل والتضحية .

وبعد موت صلاح الدين الأيوبي ، اختلف خلفاؤه من بعده ، وقويت الامارات المتبقية من فلول الصليبيين، وهي نتيجة منطقية لذلك الخلاف ،



وبلغ الصراع مداه بين « الصالح إسماعيل » سلطان الشام ، وبين أخيه « نجم الدين أيوب» سلطان مصر ، مما حرك نزعة « الأنا » والفردية لدى الصالح إسماعيل ، الذي ضحى بمصالح المجموع وحالف الصليبيين ، بل وأعطاهم بيت المقدس ، ومنحهم « طبرية » و«عسقلان » ووعدهم بجزء من مصر إذا هم أعانوه على سلطانها « نجم الدين أيوب » وازداد الأمر سوءا بأن سمح « الصالح إسماعيل » للصليبيين بدخول « دمشق » ، وترك لهم حرية الحركة فيها وشراء السلاح من أهلها .

وكان « عز الدين بن عبد السلام » الملقب بسلطان العلماء ـ حينذاك ـ خطيب المسجد الأموي ومفتي دمشق ، وتحركت قوى الايمان بصدره ، فهاجم السلطان علانية في خطبه من فوق منبر المسجد الأموي هجوما عنيفا ، وقطع الدعاء له في خطب الجمعة ، وأفتى بتحريم بيع السلاح للصليبيين أو التعاون معهم ، وكانت خطبه ودروسه وفتاواه من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهاجمة للسلطان وأعوانه ، وحثا على الجهاد وقتال الصليبيين ، واتهم

بالخيانة كل متعاون مع العدو الدخيل .

وغضب السلطان ، وعزل عز الدين من إمامة المسجد الأموي ، ومنعه من الفتوى ومن الاتصال بالناس ، واعتقله في بيته او بالمصطلح العصري الحديث « حدد إقامته » فقرر « عز الدين » الهجرة من دمشق إلى مصر ليواصل فيها جهاده ، وبالفعل خرج منها عام ٦٣٨ هجرية : فثار المسلمون في دمشق لخروج الشيخ ؛ فبعث إليه السلطان أحد وزرائه ، فلحق به في « نابلس » وطلب منه العودة إلى دمشق ، وقال له : « بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وإلى ما كنت فيه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتعتذر إليه وتقبل يده » .

قال له « عز الدين » : « والله يا مسكين ما أرضى أن يقبل السلطان يدي فضلا عن أن أقبل يده .. يا قوم أنتم في واد وأنا في وادٍ الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به » .

فقال الوزير : قد أمرني السلطان بذلك ؛ فإما أن تقبله وإلا اعتقلتك .

فقال : افعلوا ما بدا لكم .

واعتقل « عز الدين » في نابلس » وبقي في معتقله حتى جاءت جنود مصر وخلصته من الاعتقال ، وعادت به إلى القاهرة : ليواصل فيها جهاده ضد الصليبيين ثم التتار من بعد ذلك .

وذهبت الدولة الأيوبية ، وجاءت دولة المماليك ، وكان « الظاهر بيبرس » أحد سلاطينها في مصر والشام ؛ وكان تحت ضغط حرب التتار يبالغ في فرض الضرائب ؛ فكتب إليه الامام « محيي الدين النووي » كتابا من دمشق يقول فيه : « إن أهل الشام في هذه السنة في ضيق وضعف حال بسبب قلة الأمطار وغلاء الأسعار وقلة الغلات والنبات وهلاك المواشي ، وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الرعية ، ونصيحة ولي الأمر واجبة ، وهي في مصلحتهم ومصلحته ؛ فإن الدين النصيحة » .

فغضب الظاهر بيبرس ، وكتب إليه متوعدا ؛ فأجابه الشيخ مؤكدا له قوله ونصيحته ، ومبينا له أن نصيحة ولي الأمر فريضة وميثاق أخذه الله تعالى شأنه على العلماء ، ثم قال له ردا على تهديده :

« ... أما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا يمنعني من نصيحة السلطان ، فهو واجب علي وعلى غيري **(وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)** « الآية ٤٤ / غافر » وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق حيثما كنا . وألا نخاف في الله لومة لائم ، ونحن نحب السلطان وما ينفعه في آخرته ودنياه » ..

وكان أن حضر السلطان إلى دمشق ، وجمع العلماء وطلب منهم فتوى بفرض الضرائب وجمع الأموال من الشعب لحرب التتار ، والمعروف أنه إذا دهم المسلمين عدو مغير ، أصبح الجهاد فرضا بالنفس والمال ، وأصبح من حق الحاكم أن يأخذ من أموال الشعب ما يمكنه من قتال العدو ، والامام النووي يعلم ذلك تمام العلم ، إلا أنه عز عليه أن يتحمل الشعب وحده هذه الضرائب ، ويبقى الأمراء المماليك ـ وهم أغنياء ـ في

أموالهم لا تمس ولا يؤخذ منها شيء فرد على السلطان هذا الرد العنيف فقال : « أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار ، وليس لك مال ، ثم من الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك أيها السلطان ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائة جارية . لكل جارية حق من الحلي ، فإن أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف ، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي ، أفتيتك بأخذ الأموال من الرعية » .

غضب « الظاهر » غضبا شديدا ، وقال له : اخرج من بلدي ، فقال الشيخ : السمع والطاعة . وخرج الشيخ « محيي الدين » إلى « نوى » بالشام ، فنصح الناصحون الظاهر بيبرس قائلين : « إن هذا الشيخ من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدي به ؛ فأعده إلى دمشق » .. واضطر السلطان تحت ضغط الرأي العام إلى أن يبعث إليه يطلب منه العودة إلى دمشق ، ولكن الشيخ رفض العودة وقال : « لا أدخلها والظاهر بها » .. ولم يدخلها بالفعل إلا بعد موت الظاهر بشهر .

العلماء يحترفون ولا يتكسبون بالعلم

هذان المثلان اللذان قدمناهما ما هما إلا غيض من فيض ، وقطرة من بحر المواقف الخالدة لعلمائنا الأجلاء على مر العصور ، ومن ثم وجب أن نعلم أن هناك ظاهرة واضحة في حياة أولئك العلماء العاملين ؛ وهي السر وراء قوتهم ، وهي مكمن عزتهم ، وهي أنهم كانوا يرفضون مناصب الدولة ، ولا يقبلون صلات أو أموال الخلفاء والحكام ،

وكانت لهم حرف يعملون فيها ويأكلون منها بجوار نشاطهم العلمي ؛ فلم يتخذوا من العلم والفتوى والتأليف وسيلة لكسب المال ؛ ولم يجعلوا من الدين حرفة يعيشون منها ، ويتكسبون من ورائها . وذلك لايمانهم بالمفاهيم العملية الصادقة في الاسلام بمعنى أن الاسلام لا يعرف ـ أصلا ـ طبقة (رجال الدين) بمفهومها في المجتمعات الأخرى ؛ فليس في الاسلام واسطة بين العبد وربه ولا حق لأحد في احتكار النصوص أو تأويلها ، وليس هناك اعتراف بالخطايا وإقرار بالذنوب بين أيدي رجال الدين لتكفر الذنوب وتغفر الزلات ، كما أن فرائض الاسلام ليست طقوسا ولا ألغازا يحتكرها محترفون ، ولكنها عبارات مفهومة الحكمة والنصوص ، والعلم بها وفهمها فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فليس هناك ما يسمى بالأسرار ، وبيوت الله ليس لأحد فيها سلطان (**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**) ، ودين الله ـ في النهاية ـ واضح ميسر ، يستطيع أي إنسان في المجتمع الاسلامي بجهده وعلمه أن يصل إلى أرفع مكانة علمية سواء كان عاملا أم فلاحا أم مهندسا أم طبيبا أم تاجرا ، دفعا للاحتراف والتأكل بالدين .

هذه واحدة .. والثانية أن العلماء

وقادة الرأي في الأمة وجدوا في قبول مناصب الدولة وأموال الخلفاء والحكام ما يحول بينهم وبين القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الانحراف والظلم والفساد . والثالثة : أن بعض هؤلاء العلماء والأئمة كانوا يرون أن الخلفاء والحكام قد انحرفوا قليلا أو كثيرا عن المنهج الاسلامي في الحكم ، وأن التعاون معهم مساهمة في الانحراف ، والعمل لهم لا يجوز لأنه معصية ، وأن أموالهم لا تحل لهم لأنها أموال مغصوبة ، فكانوا يردون أموال الخلفاء ، ويقول أحدهم لرسول الخليفة : « قل لمولاك أن يضعها حيث أخذها ، ففيها حق اليتيم والأرملة والفقير والمسكين ». ومن ثم نرى كثيرا من هؤلاء الأئمة والعلماء قد فطموا أنفسهم عن مناصب الدولة ، واحتفظوا لأنفسهم بحرية الكلمة ، واحترفوا أعمالا يعيشون منها .

هناك أئمة - على سبيل المثال - نقرأ لهم - ونمر بأسمائهم مرور الكرام فلا نتوقف عندها ، مثل « الخصاف » « والكرابيسي » و« القفال » و « الجصاص » ، ونظن هذه الأسماء ألقابا في حين أنهم نسبوا إلى الحرف التي كانوا يحترفونها ؛ فالامام الخصاف « أحمد بن عمر » كان عالما جليلا ، يخرج كتبه الجليلة العظيمة ، وهو يعمل في خصف النعال ، و« الكرابيسي » كانت مهنته بيع الثياب الخام ، والامام « القفال » كانت مهنته صنع الأقفال ، وكان يرى في مجالس العلم والفتوى وآثار حرفته ظاهرة على يديه ، وأما الامام الجصاص فكان شيخ زمانه وهو يعمل في الجص .

وكثير غيرهم ليس هذا مقام الحديث عن أعمالهم ، إنما الفائدة التي نعتبر بها هي أن أولئك الرجال وأشباههم رجال ارتفعوا بقيمة العمل مهما تكن مظاهره في عين المجتمع ؛ أقصد : لم يرتفعوا بقيمة العمل بالدعوة والوعظ ، إنما ارتفعوا بها عمليا بالممارسة في واقع الحياة ، وقدموا للدنيا عمليا رأي الاسلام في العمل ، وقدموا البرهان الواقعي على أنه ليس هناك عمل رفيع وعمل خسيس ، أو عمل للخاصة وعمل للعامة إنما هناك إنسان رفيع بإيمانه ، عظيم بخلقه وعمله وتحريه الحلال ، مهما يكن نوع العمل الذي يؤديه ، وهناك إنسان خسيس بنفاقه ، ضئيل بسوء خلقه ، حقير بتعطله وأكل أموال الناس بالباطل ، ولو تربع على أرفع المناصب وتبوأ مناط الثريا ، وحمل أكبر الألقاب .

ويا سبحان الله !! لما ترك العلماء الدنيا جرت وراءهم .. فلقد كان الخلفاء والحكام يتقربون إلى أولئك العلماء والأئمة ويتمنون رضاهم ويبعثون إليهم بالصلات التي كانت تبلغ آلاف الدنانير فلا يقبلونها ، ويعرض على أحدهم المنصب العظيم في الدولة فيرفض حتى لا يتحكم في رأيه مخلوق ، وحتى يستطيع أن يقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكانت الفتوى أو الكلمة من أحدهم تهز العروش وتزلزل الخلفاء ، وهو مع ذلك يعمل في خصف النعال أو صناعة الأقفال .

أبوحنيفة يفضل السجن على أكبر المناصب !!

وها هو الامام أبوحنيفة النعمان بن ثابت ، مثل واضح لأولئك الأئمة والعلماء ، وهو مع كونه إماما من أعظم أئمة التشريع الاسلامي ، وصاحب مذهب يتبعه كثير من المسلمين ، أو هو الامام الأعظم كما يلقبه العلماء ، وقد عم علمه وفقهه وفتاويه وآراؤه أكثر العالم الاسلامي ، وكان صاحب مدرسة أنجبت عددا ضخما من الأئمة والعلماء ، وكان العلم والتعلم والتعليم هو هدفه الأول طوال حياته ، وعلى الرغم من كل ذلك فلم يكن الدين له حرفة يعيش منها ، فقد كان صاحب تجارة واسعة يديرها ويعمل فيها ، بل وينفق منها على تلاميذه المحتاجين الذين فرغوا أنفسهم لطلب العلم ، ولم يثبت قط أن أبا حنيفة كان له راتب من بيت المال ، أو قبل أجرا من أحد على نشاطه العلمي ، أو قبل مالا من الدولة أو صلة من خليفة أو حاكم طوال نشاطه الواسع العظيم في مجال التعليم والفتوى .

ولقد حدث في عهد بني أمية لما قويت الدعوة العباسية ، وأحس الأمويون بالخطر على دولتهم ، وبالأرض تميد من تحت أقدامهم ، حاولوا أن يسندوا الدولة بكبار العلماء ليجعلوا لها سندا شعبيا ، فبعث عامل بني أمية « ابن هبيرة » بأمر الخليفة إلى أئمة فقهاء العراق : ابن أبي ليلى ، وابن شبرمة ، وداود بن هند ؛ فولى كل واحد منهم عملا من أعمال الدولة ، ثم بعث إلى أبي حنيفة وعرض عليه منصب صاحب الختم ، وهو من أعظم المناصب وقتئذ في الدولة ، إذ لا يتم أمر في الدولة إلا بإذنه ، ولا يصرف مال إلا بأمره ، فإذا بأبي حنيفة يرفض ، فحلف ابن هبيرة عليه ؛ فأصر أبوحنيفة على الرفض؛ فأقسم ابن هبيرة ليضربنه إن لم يقبل ، فأصر أبو حنيفة على موقفه ..فأخذ بعض الفقهاء يلح عليه بالقبول ، ويقولون له : « إنا ننشدك الله ألا تهلك نفسك .. وإنا إخوانك وكلنا كاره لهذا الأمر ولم نجد بدا من القبول » .

فقال لهم أبوحنيفة : « لو أرادني أن أعد له أبواب المسجد ما قبلت ؛ فكيف وهو يريدني أن أكون مسئولا عن سفك دماء الناس ، وإنفاق أموالهم بالباطل ، والله لا أدخل في ذلك أبدا .. فقبض عليه الوالي وأدخله السجن ، وأمر بتعذيبه ، واستمر تعذيبه في السجن حتى أشرف على الهلاك وهو صابر محتسب مصر على الرفض .

ولما خاف الوالي ثورة الرأي العام إذا مات أبوحنيفة في سجنه ، أطلق سراحه ، فذهب أبوحنيفة إلى « مكة » وآوى إلى بيت الله الحرام آمنا ، حتى سقطت دولة بني أمية .

وفي عهد الدولة العباسية تكررت المأساة ؛ فقد دعا الخليفة « أبو جعفر المنصور » أبا حنيفة ، وعرض عليه منصب رئيس قضاة الدولة فرفض ، فسأله الخليفة عن سبب رفضه ، فقال : « لا يصلح لهذا المنصب إلا رجل يملك الحكم على أمير المؤمنين وأقاربه وقواده ؛ وليس لي ذلك الحق » ..

فقال له المنصور : فلم لا تقبل ما أبعث إليك من صلات ؟
قال أبوحنيفة : « إن أمير المؤمنين لم يبعث إلي من ماله الخاص ، إنما وصلني من بيت مال المسلمين ، ولا حق لي في بيت مالهم ، فلست ممن يقاتل في سبيل الله فآخذ ما يأخذ المقاتل ، ولست من ولدانهم فآخذ ما يأخذه الولدان ، ولست من فقرائهم فآخذ ما يأخذ الفقير» .

وتركه المنصور فترة ثم عاد فبعث إليه وألح عليه في قبول هذا المنصب القضائي فرفض ، فأقسم عليه المنصور ، فأقسم أبو حنيفة بدوره ألا يقبل ، وبلغ الموقف بينهما غاية الحرج ؛ فقال من كان حاضرا من رجال المنصور لأبي حنيفة :
ـ أتريد لأمير المؤمنين أن يحنث في قسمه ؟! ..

فقال لهم : « لقد حلفت بدوري ، وأمير المؤمنين أقدر مني على كفارة اليمين » ..
ثم لجأ « المنصور » بعد ذلك إلى سلاح التهديد ، ولكن أبا حنيفة كان مصرا على موقفه ؛ ثابتا كالجبل ، فرد على تهديد المنصور فقال : « لو هددتني أن تغرقني في الفرات أو أن ألي الحكم ؛ لاخترت أن أغرق !! » ..
أمر « المنصور » بالقبض عليه وسجنه و تعذيبه ؛ فكان يضرب كل يوم عشرة أسواط ، وتحمل أبوحنيفة التعذيب وهو مصر على موقفه ، فعدل المنصور عن عرضه الأول ، وبعث إليه بأن تكون وظيفته مقصورة على مراجعة احكام القضاة ، فلم يقبل .

وطالت مدة السجن والتعذيب ، وزارته أمه في السجن ؛ فلما رأت عليه آثار التعذيب بكت .

فقال لها: ياأماه ، إنهم يريدونني على الدنيا وإنني أريد الآخرة ، وإنني أختار عذابهم على عذاب الله تعالى .
وقال أبو حنيفة لجاره في السجن : « والله ما أوجعتني السياط قدر ما آلمتني دموعها » !

وموقف أبي حنيفة ـ برغم تعليله لأمه ـ في حاجة إلى تفسير ؛ فلم رفض منصب قاضي قضاة الدولة ، وتحمل في سبيل هذا الرفض كل هذا العنت وكل ذلك التعذيب حتى مات وعلى جسده آثار السياط ؟ أفلم يكن من الأنفع للدولة والمسلمين أن يقبل أبوحنيفة هذا المنصب ، وهو يستطيع بسلطانه أن يخفف كثيرا من المظالم ويمنع كثيرا من الفساد والانحراف ؟
لاشك أن أبا حنيفة ـ وهو الامام العظيم ـ قد فكر في ذلك ، ولكنه كان يرى المناخ العام للدولة قد فسد وأصبح مجالا للمظالم في الأنفس والأموال ، وأن منهج الحكم قد بعد كثيرا عن تصوره الاسلامي ، وأنه حين يدخل في دوامة هذا المناخ ويستنشق سموم هذا الجو ، فسوف يجرفه التيار ، وهو يعلم علم اليقين ويفتي ويعلن أن رسالة الاسلام رسالة تحرير للانسان .. لكل انسان .. وفيها كل الضمانات والحقوق .. فلا يعتدي على مال إنسان أو حريته ، ولا يتحكم في ضميره أو رأيه ، ولا تمس كرامته أو عرضه ..

كيف يمكن لأبي حنيفه أن يقبل الاشتراك في حكم لا يوفر تلك الحقوق والضمانات ..؟! هذه واحدة .. والثانية أنه كان يرى في مناصب الدولة وعطاياها رشوة يشتري بها رأيه وضميره وسكوته على الظلم ، وهو يريد لنفسه وللعلماء أن يكونوا قادة بحق وأهلا لثقة جماهير الشعب ، فلا بد أن يكونوا أحرارا لا يتحكم في ارائهم وضمائرهم أحد حتى ولو كان أمير المؤمنين . والثالثة ان تصوره للقضاء الاسلامي أن يحقق العدالة المطلقة ، ويتساوى أمامه جميع الناس ، فلا يعطي الحق إلا لمن يستحقه ، فيسود القانون سيادة كاملة ويصبح لا فرق .. أمام القضاء .. بين أمير المؤمنين وبين أحد من رعاياه ، ذلك التصور هو الذي جعل أبا حنيفة يقول قولته العظيمة للمنصور .. حين رفض منصب قاضي القضاة : لا يصلح لهذا المنصب إلا رجل يملك الحكم على أمير المؤمنين وأقاربه وقواده ، وليس لي ذلك الحق » ..

والرابعة أن أبا حنيفة كان يرى في الدولة العباسية انحرافات ومظالم في الدماء والأموال ، والاسلام يفرض عليه مقاومتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكيف يمكن أن يقاوم الظلم حين يصبح ـ بقبوله منصب القضاء ـ ركيزة من ركائزه وأداة من أدواته ؟ .. إنه لا يمكن بحال أن يقوم بهذه الفريضة وهو مقيد بمناصب الدولة وإنما يستطيع أن يقوم بها وهو حر في صفوف الشعب ، بعيد عن مناصب الدولة وصلاتها وأموالها .

وأثمرت مواقف أبي حنيفة وتعاليمه ، فعاد للقضاء من بعده تصوره الاسلامي ، وساد العدل وأصبح الناس أمام القضاء سواء ، ففي عهد الخليفة الهادي كان ابو يوسف : يعقوب بن إبراهيم ، وهو أحد تلامذة الامام أبي حنيفة يتولى منصب قاضي القضاة ؛ فاختصم إليه رجل مع الخليفة في بستان له غصبه عمال الخليفة وحضر الخليفة « الهادي » إلى ساحة القضاء ، ورأى أبو يوسف أن الحق للرجل ، ولكن للخليفة شهوده ، وعز على ضمير القاضي أن يضيع الحق لأن ظاهر القضية وحرفية القانون مع الرجل الذي يملك الشهود وهو الخليفة ، فلجأ إلى الذكاء ، وكانت براعة المخرج عندما قال للخليفة « يا أمير المؤمنين إن الخصم يطلب أن تحلف له على أن شهودك صادقون » .. فلم يقبل الخليفة ان يحلف ، وخسر الدعوى ، ورد القاضي البستان إلى صاحبه .

■ ■ ■

فليت المسلمين ـ اليوم ـ يعرفون قيمة التضحية في سبيل الحق ، وليتهم يعرفون معاني الفداء من أجل العقيدة ، ويدركون معنى الجهاد في سبيل الواجب ، فلن تصلح حياتنا اليوم إلا بما صلحت عليه حياة السابقين الاولين من اجدادنا وابائنا ، فلنستمع ونعمل فان اقرب واقصر الطرق بين نقطتين هو ـ بلا شك ـ الطريق المستقيم .



يعمد بعض التجار الى ترويج بضاعته الرديئة الفاسدة بالحلف على جودتها وسلامتها من العطب ، وهو يعلم انه كاذب في أيمانه وأن بضاعته غير جيدة هو يلجأ الى الحلف لكي يصدقه الناس ويقبلوا على شراء بضاعته ، فتروج في البداية ، ولكن سرعان ما يعرف الناس حقيقة هذه البضاعة وقيمتها فيمتنعون عن معاملته ، فتكون نهايته الافلاس . هذا فضلا عن غضب الله عليه ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة »(رواه ابو داود)
اي انها تروج السلعة فتباع بثمن كبير ، ولكنها تنزع البركة وتضيعها .

★ أول حملة تفتيشية تموينية في الاسلام ★

ونرى بعض التجار يخفون عيوب سلعهم عن المشترى ، او يظهرون الجيد

ويخفون الردىء .
وبعض الباعة يخلط الطيب من السلع بالردىء ، او يضيف الى السلعة ماليس منها ليرفع قيمتها او يزيد من وزنها .
وهذا نوع من الغش ، فيه ظلم للمشترى يحزنه ويضرّبه ، ويؤدي الى التشاجر ويسىء الى سمعة البائع ، ويصرف الناس عن معاملته ، مما يؤدي في النهاية الى افلاسه ، وقد جاء في الحديث الشريف :

● عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في السوق على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال الرسول :
«ما هذا ياصاحب الطعام ؟
فاجاب :
يأرسول الله أصابته السماء ،
فقال رسول الله .
الا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا».
هذه اول حملة تفتيشية على مواد التموين يقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم من اربعة عشر قرنا ، ويضبط فيها الغش ، ويحقق فيه ، ثم يصدر الحكم العادل على الغشاش ، فيخرجه من جماعة المسلمين ، ويرى نبينا الكريم في ذلك الغش لواحد من المسلمين غشا لجميع المسلمين

ويلجأ بعض التجار الى البيع بالمزادات العلنية ، يقيمها بعض التجار الغشاشين وقد اخفوا عيوب سلعهم وهم يوهمون البسطاء وعامة الناس انها بضائع رخيصة بسبب تصفيتها أو لدواعي السفر او بسبب الحجز عليها ، أو ما يشبه ذلك من اسباب مصطنعة لخديعة الناس ، وفي كل ذلك اغراء وغش ، وهذا أكل لأموال الناس بالباطل وسرقة خفية في ثوب تجارة حرة .
وكان من تمسك المسلمين بهذه التعاليم الاسلامية والمبادىء السامية ان الرجل اذا خرج من بيته يقول له اهله :
اتق الله ولا تكسب حراما ، فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم .
وكان الامام البخاري صاحب الصحيح يتكسب من التجارة فأتاه من يساومه على شراء صفقة من الثياب بثلاثة عشر الف درهم فلم يقبل ، فلما ذهب المشترى ندم البخارى على انه لم يبعه تلك الصفقة بما دفع من المال ، ومعنى هذا انه ان رجع باعه اياها بذلك المبلغ وعاد الرجل في اليوم الثاني ودفع اليه خمسة عشر الفا فأبي البخاري ان يقبض أكثر من ثلاثة عشر الفا فعجب المشترى من ذلك وقال له .
بالأمس دفعت لك هذا المبلغ فلم تقبل وأنا ادفع لك اليوم اكثر مما طلبته بالأمس ، فما شأنك ؟
فأجابه البخاري :

انني بالامس كنت نويت ان ابيعك الصفقة بهذا المبلغ اذا عدت واني اخجل من الله ان اعود عن عزم قد عزمت عليه .
وحرص الاسلام على حماية الضعفاء ، فنهى عن تلقى الركبان مثل ما يفعل بعض التجار عندما يتلقى احدهم الزارع الفقير قبل دخول السوق ليشترى منه ما معه من سلعة بثمن بخس فيلحق به الضرر ثم يبيع هذا التاجر السلعة نفسها للمستهلك بأضعاف مادفع فيها فيضره كذلك .
وكان اهم ما عنى به النبي صلى الله عليه وسلم هو حرية السوق وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع ومقاومة كل سلطان يراد به التأثير .
فقد نهى الرسول عن تلقي الركبان
وهذا يثبت عمل السوق ووظيفته قبل ان يحددها الاقتصاد الحديث بمئات السنين لان في السوق يتحدد السعر بين مجموع البائعين ومجموع المشترين ، والرجل من أهل القرى لا يعرف حقيقة السعر قبل ان يصل الى السوق ، ولهذا عملت الشريعة الاسلامية على حمايته بنهى التجار عن تلقي الركبان ، وبترك السوق تقوم بوظيفتها في تحديد السعر المناسب للبضائع .
كما يحرم الاسلام ترويج الزائف من النقود ، لأنه ظلم يلحق الضرر بالناس الذين سيتداولون النقد بينهم وهو ينشر الزور والفساد . ويقع الزور على من قام بترويج هذه النقود ابتداء لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها .

ولذلك يرى فقهاء المسلمين انه يجب على التاجر ان يتعلم النقد حتى لا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري ، فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك .
وعلى التاجر المسلم الا يغالي في الربح لأن الربح الفاحش فيه غبن على آخيه ، حتى ان بعض علماء المسلمين ذهب الى ان الغبن يتحقق فيما يزيد عن الثلث .
كما يرون الا يسترسل التاجر في الغبن ولو رضى المشترى لان هذا المشترى قد أمن له .
ولأن هذا الغبن يناقض الهدف الأصلى من التجارة في الاسلام بأن تكون للتيسير على المجتمع لا استغلاله .

★ وأشهدوا إذا تبايعتم ★

ولا شك ان الشهادة في العقود أنفى للشبهات وأحفظ لقيمة العقد .
يذكر الأمام ابن القيم في كتابه « الطرق الحكمية » ان لولى الأمر أن يكره المحتكرين على بيع ماعندهم بقيمة المثل عند حاجة الناس اليه ومن اضطر الى

طعام عند غيره ولا يحتاج اليه كان له أن يأخذهبقيمة المثل ، ولو امتنع عن بيعه له بقيمة المثل ، فأخذه منه بما طلب لم يجب عليه الا قيمة المثل ، وذلك دفعا لضرر المحتاج وفي الوقت نفسه ، لاضرر على المالك ولا ضرار . ولو امتنع ارباب السلع عن بيعها مع حاجة الناس اليها وغالوا في سعرها فللحاكم ان يسعر ، وان يلزم بقيمة المثل وان يبيع عليهم وله إلزام الصناع والتجار وارباب الحرف القيام بأعمالهم بالأجر المناسب .

★ التسعير ★

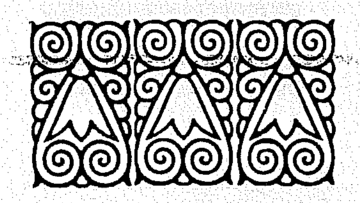
والقاعدة العامة في الاسلام ان التسعير تلجأ اليه الدولة كلما كان لصالح الناس ومنفعتهم العامة فيه ، على أساس من العدل الذي هو قوام المعاملات في الاسلام .

لذلك يجب على الحاكم الا يسرف في فرض الاسعار الجبرية لاسيما بالنسبة للسلع التي لا يضر بالناس حرية التعامل فيها لان في الافراط في التسعير تقييدا للمعاملات وإضرارا بالمنتجين او التجار بغير خبرة او ضرورة ملحة ، وعلى كل سلعة وبغير حكمة . وانما جواز التسعير او وجوبه كحكم شرعي يدور مع علته وجودا وعدما ، وعلته هي دفع الضررعن الناس وتنظيم المعاملات على وجه عادل .

أما كيف يتم التسعير فهذا ما يوضحه للمسلمين الامام على بن ابي طالب رضى الله عنه بقوله :

يجب ان يكون البيع بأسعار لاتجحف بالبائع او المبتاع فيجمع الإمام اهل السوق الذي يراد وضع سعر له ويحضر غيرهم معهم استظهارا على صدقهم ، فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ؟ فينازلهم الى ما فيه مصلحة لهم وللعامة حتى يرضوا .

اي يجتمع ممثلو المنتج والتاجر والمستهلك والخبير المحايد لوضع السعر المناسب للسلعة او السلع المراد تسعيرها لأن الاسلام لاينحاز الى طبقة دون اخرى والجميع في أمة الاسلام اخوة فلا يرجح مصلحة اخ على اخيه ، ولا اظن ان هناك تشكيلا للجنة التسعير ارقى من هذا التشكيل الذي وضعه الإمام على رضى الله عنه ولا ابعد للشبهة .



ليشهدوا منافع لهم

قال سبحانه : « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

الآيات ٢٦ إلى ٢٨ من سورة الحج

لا تستخف بهؤلاء

ثلاثة لا يستخف بهم : السلطان ، والعالم ، والصديق.

فمن استخف بالسلطان ذهبت دنياه ، ومن استخف بالعالم ذهب دينه ، ومن استخف بالصديق ذهبت مروءته .

عفوك

تعلق أعرابي بأستار الكعبة وقال : عبدك ببابك ، ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهواته ، وبقيت تبعاته ، فارض عنه ، فإن لم ترض عنه فاعف عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض .

لا تعجب

قال الشاعر :

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

لا حرج

عن ابن عباس ، قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل يوم النحر بمنى .
فيقول : « لا حرج » ، فسأله رجل ، فقال : رميت بعدما أمسيت .
فقال : « لا حرج » . رواه البخاري .

حتى تفوز

قال يحيى بن معاذ : من أقر لله بإساءته ، جاد الله عليه بمغفرته ، ومن لم يمن على الله بطاعته ، أوصلة إلى جنته ، ومن أخلص لله في دعوته ، من الله عليه بإجابته .

ففيم كنا

حكم القاضي على رجل كثرت ديونه ، فأركبه حمارا وطوف به في البلد ،ليحترز الناس من معاملته بعد ذلك ، فلما أنزل عن الحمار ، قال له صاحب الحمار : أد الكراء . فقال : ففيم كنا طول النهار يا أبله ؟!

حذار

قال الشاعر :

يحج لكيما يغفر الله ذنبه فيرجع قد حطت عليه ذنوب



هانحن ـ أخي القارىء ـ نلتقي على خير ـ
ودائما وأبدا نلتقي على خير بإذن الله ـ
لأنجز لك ما وعدت من حديث عن حصى
المرارة ، وكان ذلك الوعد على صفحات عدد
جمادى الاولى ١٤٠٧هـ من هذه المجلة
الغراء وإليك البيان والله المستعان .



للدكتور/ غريب جمعة

فذلكة تاريخية :

يرجع التعرف على حصى المرارة الى عهد الفراعنة فقد وصفت في مومياء مصرية ، اما المغص المراري في أعلى الجهة اليمني من البطن فقد كان معروفا للجميع ، وقد وصفه « جالين » وميزه عن انواع المغص الاخرى وقد تمكن "انتونيو بنيفين » ان يعثر على حصاة المرارة ويصفها في المشرحة عام ١٩٠٧م ، وقد كان انتونيو مولعا باكتشاف الأمراض الجديدة والف كتابا في ذلك جاء فيه وصف الحصى المراري . وقد تم استئصال المرارة (الحوصلة المرارية = الكيس المراري) كعلاج للألم الناشىء عن ذلك الحصى بواسطة جين لويس عام ١٧٤٣م . ولكن التوفيق لم يكن

حليفه في ذلك ، ثم قام من بعده « لوس تيت » بإستئصال المرارة بنجاح عام ١٨٧٩م . ومنذ ذلك الوقت اصبحت الجراحة هي علاج حصى المرارة . وقد أمكن تشخيص ومعرفة حصاة المرارة تشخيصا سليما بالفحص بالأشعة بواسطة « جراهام وكول » عام ١٩٢٤م ثم تطورت وسائل التشخيص الى أحدث الوسائل التي سيأتي الحديث عنها باذن الله .

ويعتبر الحصى المراري من اكثر امراض المرارة والقنوات المرارية شيوعا وان كان اكثر انتشارا في بعض المناطق مثل اوروبا وامريكا الشمالية والجنوبية واستراليا وذوى البشرة البيضاء بجنوب افريقيا ويندر في الهند والشرق الاقصى .

أنواع حصى المرارة :

لعلك تذكر أخي القارىء أننا تكلمنا في مقالنا السابق عن مكونات سائل المرارة ومن بينها مادة : الكوليسترول ومادة البيليروبين ولذا فإن حصى المرارة ينقسم الى ثلاثة أنواع هي :

١ ـ حصاة الكولسترول :

وتكون واحدة خفيفة الوزن واللون وتكثر في مرضى السكر والسمنة المفرطة والحمل المتكرر نظرا لزيادة نسبة الكولسترول في السائل المراري ، وعادة ما تكون هذه الحصاة مستديرة صفراء .

٢ ـ حصاة البيليروبين :

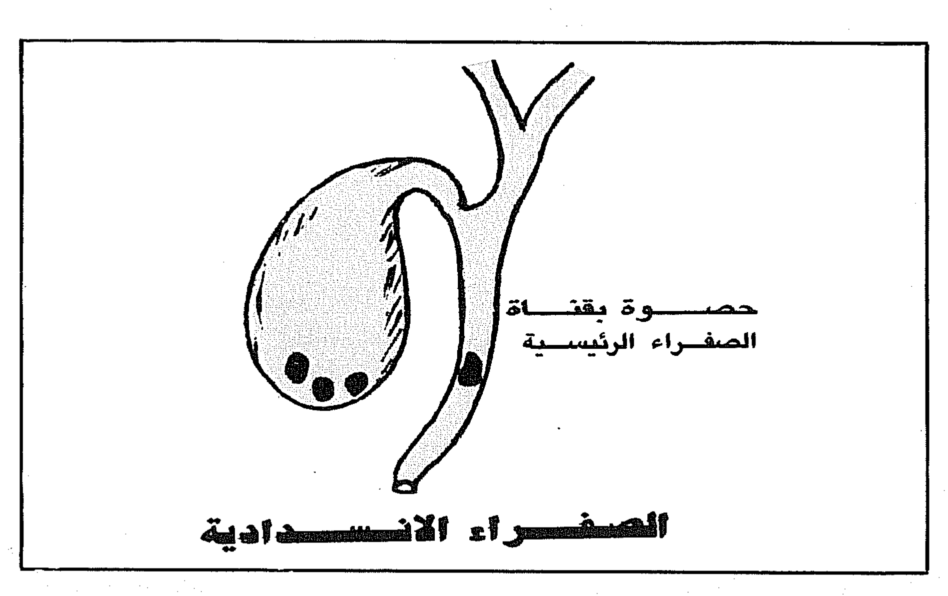
وتتكون من ترسيب مادة البيليروبين مع الكالسيوم وتكون داكنة اللون وتكثر في الحالات التي يتكرر فيها نقل الدم مثل أمراض الأنيميا المصحوبة بتحلل الدم ، ويختلف حجمها وشكلها حتى يصل الى حجم حبات الرمال السوداء .

٣ ـ حصاة مختلطة :

وهي تتكون من الكولسترول والبيليروبين ومواد اخرى وهي ذات أشكال هندسية مختلفة ودائما متعددة وقد أمكن أن يصل عددها الى ٢٠٠ !! حصاة في حالة مرضية واحدة ، وغالبا ما يوجد بداخلها خلايا طلائية (خلايا تبطن المرارة والقنوات المرارية) وميكروبات مما يرجح ان سبب تكونها هو التهابات مرارية سابقة ومتكررة على المدى الطويل .

كيف يتكون حصى المرارة ؟ :

اصبح من المعروف الآن طريقة التكوين الكيميائية لحصاة المرارة ، حيث أن مادة الكولسترول التي تفرزها خلايا الكبد (ضمن مكونات السائل المراري =



رسم توضيحي يبين اعراض حصاة المرارة حسب مكان تواجدها

العصارة المرارية) توجد على هيئة سائل باتحادها الكيميائي المباشر مع مادة الليثيسين » واملاح المرارة ، واذا زادت كمية الكولسترول عن المعدل الطبيعي او قل إفراز المواد المذيبة له من مادة لليثيسين واملاح الصفراء (المرارة) فإن هذا يؤدي الى تشبع العصارة المرارية بكمية كبيرة من الكولسترول ، وعندما تختزنه المرارة فإن درجة تركيزه تزداد عشر مرات عن المعدل الطبيعي وهذا يؤدي الى ترسبه فيها على هيئة بللورات صغيرة تتجمع وتلتصق لتتكون منها حصاة الكولسترول .

اما حصاة البيليروبين فإنها تنتج عن الاتحاد الكيميائي لمادة الكالسيوم مع البيليروبين لأنه يوجد كجسم غريب في العصارة المرارية بكثرة خاصة في الحالات التي يكثر فيها تحلل الدم كما ذكرنا آنفا او التهابات القنوات المرارية .

العوامل التي تساعد على تكون حصى المرارة :

لوحظ ان الإصابة بحصى المرارة تنتشر بنسب متفاوتة في جميع انحاء العالم تقريبا وان كان هناك بعض الاجناس لديها استعداد وراثي للإصابة اكثر من اجناس اخرى ، ويمكن القول بصفة عامة ان السيدات اكثر عرضة للاصابة من الرجال كما ثبت من الإحصاءات العالمية وترتفع نسبة الإصابة مع تقدم السن ، حيث تصل الى ٢٠ ٪ بين السيدات بعد سن الأربعين ، بينما تصل الى ٨ ٪

بين الرجال في نفس السن ، وتقفز النسبة الى ٣٠ ٪ بعد الستين..
وهذا لايمنع حدوثها في الأطفال وإن كانت نادرة .

والاسباب الحقيقية للاصابة بحصى المرارة غير معروفة على وجه التحديد وانما هناك عوامل يرجح انها تؤدي الى ذلك ومنها :

١ ـ عوامل أيْضيَّة : (أي ناتجة عن اضطراب التمثيل الغذائي)
وهي مرتبطة بذوبان مادة الكولسترول في إحماض العصارة الصفراوية وعند حدوث خلل في المعدل الطبيعي لكل منهما نتيجة زيادة او نقص في إحدهما فإن الكولسترول يبدأ في التجمع على شكل حصاة .

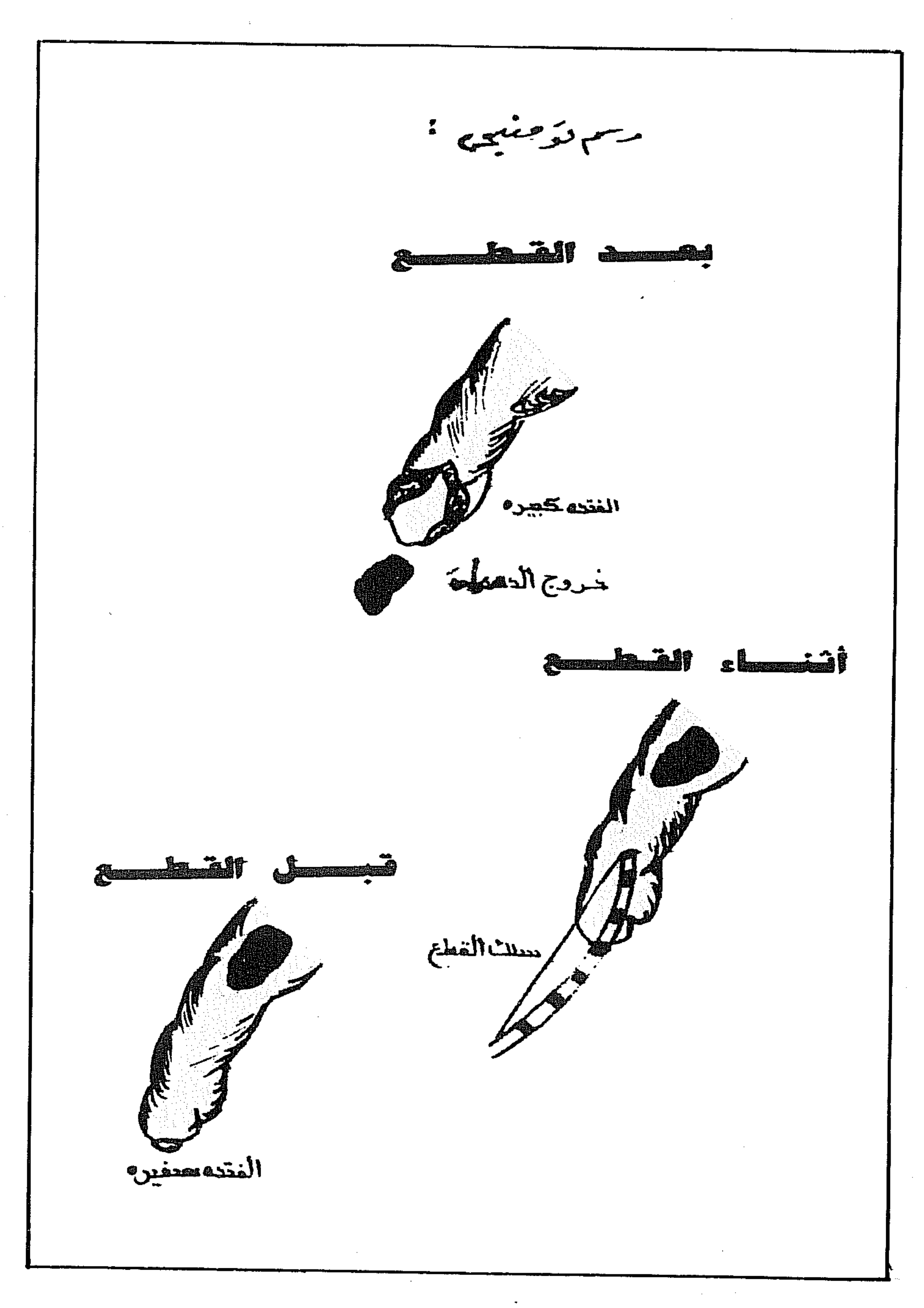
٢ ـ عوامل بكتيرية :
اتضح من تحليل بعض الحصى ان به بكتيريا تؤدي الى حدوث التهاب بالمرارة مما يفسر ان ذلك الالتهاب قد يؤدي الى تكون حصى بالمرارة حيث تمثل البكتيريا « نواة » تترسب عليها وتتجمع حولها مكونات الحصاة .

٣ ـ ركود سائل المرارة :
أي سيره ببطء داخل المرارة والقنوات المرارية مما يؤدي الى تكون حصاة بالتدريج ، ويحدث هذا الركود غالبا في السيدات الحوامل مما قد يفسر ارتفاع نسبة الإصابة بحصى المرارة عند متكررات الحمل من السيدات .

٤ ـ عوامل مرضية :
مثل أمراض السكر وارتفاع بعض الدهون بالدم وامراض تكسر كرات الدم الحمراء التي تؤدي الى التحلل الزائد للدم ، وامراض السمنة المفرطة الناتجة عن الشره والإسراف في الطعام والشراب وما احسن التزامنا بتوجيه القرآن في هذا الصدد حيث يقول تعالى (.... وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين) الأعراف / ٣١ .

٥ ـ بعض الأدويــة :
مثل حبوب منع الحمل التي تتناولها بعض السيدات كقطع الحلوى ، والهورمونات الانثوية لفترات طويلة .

أعراض حصى المرارة :
(يمكن ان نفهم هذه الاعراض بوضوح اذا نظرنا الى الرسوم التوضيحية المرفقة)



قطع فتحة القناة المشتركة للاثنى عشر

١ ـ الحصاة الساكنة :

وهي التي لا تسبب للمريض أية متاعب يشعر بها حيث إنها مستقرة في قاع الحوصلة المرارية وساكنة تماما والمريض لايدرى عنها شيئا وانما يتم اكتشافها بمحض الصدفة عند عمل فحص بالاشعة او بالموجات فوق الصوتية لأي سبب آخر . وقد تؤدي نسبة من هذا النوع الى حدوث مضاعفات في المستقبل مع مرور الوقت وربما يفضل البعض التدخل الجراحى واستئصال المرارة وعدم الانتظار حتى حدوث المضاعفات .

٢ ـ الالتهاب الحاد للحوصلة المرارية :

قد تتحرك حصاة الى القناة الجانبية المؤدية الى قناة الصفراء (انظر الرسم) وتنحشر في تلك القناة وبالتالي تؤدي الى الشعور بألم (مغص) مفاجىء وشديد في أعلى البطن من الجهة اليمنى ويمكن ان يمتد الى الظهر من الخلف او بين الكتفين مع تركيز ناحية الكتف الايمن وقد يستمر ساعة او ساعتين ويكون مصحوبا ببعض الأعراض مثل : غثيان ـ قيء ... الخ وهذا ما يعرف « بالمغص المراري » وهو من أعنف انواع المغص . وقد ينتج عن ذلك التهاب حاد بالحوصلة المرارية وارتفاع في درجة الحرارة نتيجة التلوث الميكروبي وقد تتكرر نوبات المغص المراري وتنتهي الحالة بالتهاب مزمن للحوصلة المرارية .

٣ ـ حصاة قناة المرارة والتهابها :

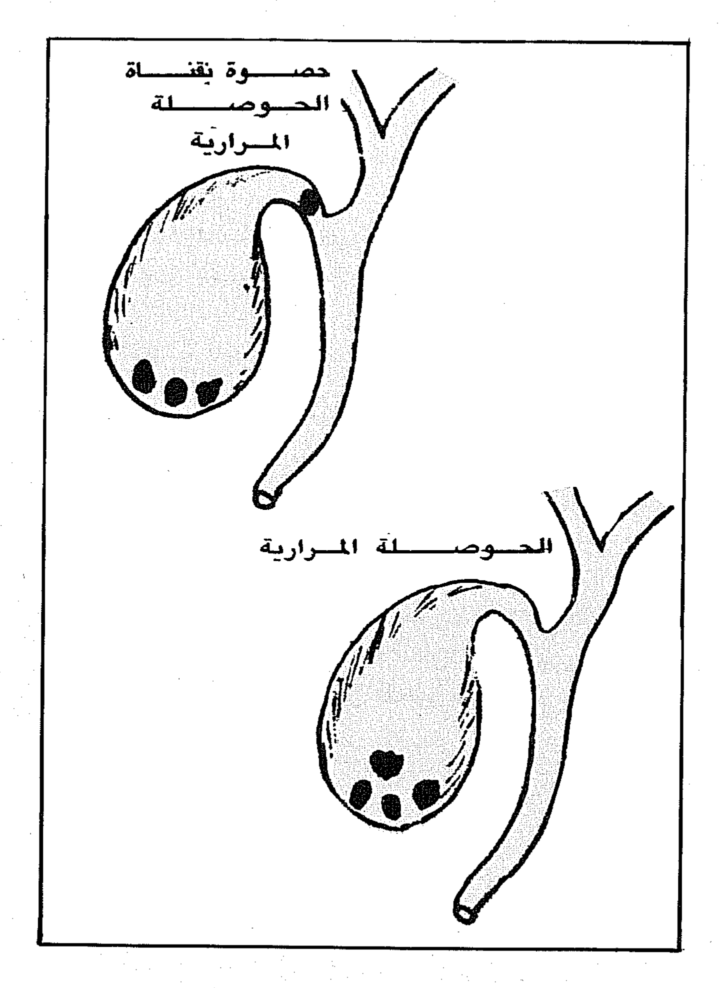
اذا تحركت حصاة او اكثر الى داخل قناة المرارة الرئيسية فإنها تمنع تدفق سائل الصفراء فيها وهذا بالتالي يؤدي الى تجمع أملاح الصفراء بالدم (ويصيب المريض بحكة شديدة بالجلد) كما تؤدي الى اصفرار لون الجلد والعينين نتيجة زيادة نسبة الصبغة المسماة « بالبيليروبين » . هذا بالاضافة الى الاصابة بالتهاب ميكروبي حاد بقنوات المرارة يصحبه ارتفاع شديد في درجة الحرارة واحساس بقشعريرة وتشخص الحالة بأنها « اليرقان الانسدادي » أو « الصفراء الانسدادية » (Obstructive Jaundice) .

مضاعفات الحصى المراري : مما سبق يتبين لنا ان هناك ثلاث مضاعفات رئيسية هي :

١ ـ التهاب الحوصلة المرارية الحاد .

٢ ـ التهاب الحوصلة المرارية المزمن . وقد سبق الحديث عنهما بالتفصيل في عدد جمادى الاولى سالف الذكر فارجع اليه ان شئت .

٣ ـ اليرقان الانسدادي او الصفراء الانسدادية والتهاب قنوات المرارة وهي اكثر المضاعفات خطورة .



رسم توضيحي للحوصلة المرارية . حصوة لقناة الحوصلة

● « علم الانسان ما لم يعلم » !

كيفية التشخيص : كان تشخيص حصاة المرارة يتم عن طريق الفحص الاكلنيكي وعن طريق الأشعة العادية ولكن مع التقدم العلمي اتضح أنها لاتظهر بعض الحصى خصوصا الذي لا يحتوي على مادة الكالسيوم وقد تطورت وسائل التشخيص وتعددت بفضل ما افاض الله على عباده من بحار جوده وصدق الله العظيم حيث يقول :

« .. وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم» القلم / ٣ ـ ٥

فتأمل رحمك الله كيف تعدد وسائل التشخيص وهي :

١ ـ أشعة بالصبغة :

وفيها يتم اعطاء المريض مادة تلون الحوصلة المرارية مما يتيح تحديد عدد ومكان

الحصى في صورة الاشعة .

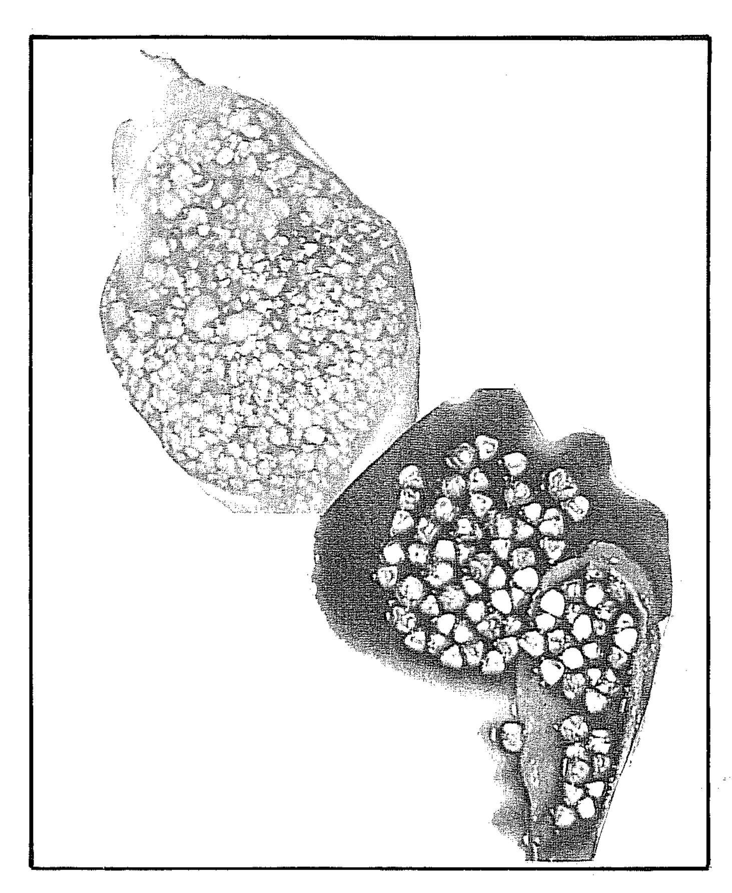
٢ ـ الفحص بجهاز الموجات فوق الصوتية :
والفكرة الاساسية لعمل هذا الجهاز هي ارتداد الموجات فوق الصوتية اذا اصطدمت بجسم غريب (الحصى في هذه الحالة) فتظهر بوضوح على الشاشة الخاصة بالجهاز ويمكن التقاط صور للحوصلة المرارية على فيلم حساس بواسطة آلة تصوير فورية . وتتميز هذه الطريقة عن سائر وسائل التشخيص الأخرى بأنها لا تسبب آلاما ولا أضرارا للمريض ولاتحتاج لتحضير خاص كما انها تظهر قناة الصفراء الرئيسية خاصة في الحالات التي يكون فيها المريض مصابا بالصفراء (وفي هذه الحالة لايمكننا فحص المريض بالاشعة ذات الصبغة) ويمكننا ان نقيس قطر هذه القناة اذا زاد عن المعدل الطبيعي وهذا يؤكد إصابة المريض باليرقان الانسدادي .

٣ ـ الأشعة المقطعية :
وهي كسابقتها نتاج ما فتح الله به من تقدم في مجالات العلوم الفيزيائية والكومبيوتر وان كانت اكثر تعقيدا من الموجات فوق الصوتية الا انها تعطي نتائج بالغة الدقة خاصة في تشخيص أورام الكبد .
وتعتمد الطرق الثلاث السابقة أساسا على مدى التقدم في صناعة وتصميم الأجهزة والى مدى قليل على من يقوم بتشغيل هذه الاجهزة فإذا اجتمعت الكفاءة مع تقدم الجهاز كان التشخيص في منتهى الدقة،والعلاج ناجعا بإذن الله .

٤ ـ أشعة القنوات المرارية :
وهي تعتمد اساسا على ادخال حقنة رفيعة الى الكبد من خلال الجلد وحقن مادة غير مشعة لبيان حال القنوات المرارية . وتساعد هذه الطريقة في بيان اسباب انسداد تلك القنوات مما يجعل علاجها اكثر دقة وأيسر للطبيب المعالج وللمريض على السواء .

٥ ـ استخدام المناظير الضوئية :
كان اول ميلاد لمنظار جديد لفحص قناة الصفراء وقناة البنكرياس عام ١٩٧٠م ويرجع الفضل بعد الله الى تقدم صناعة الألياف الضوئية في اليابان حيث امكن اختراع هذا النوع من المناظير .

وتعتمد طريقة تشغيل هذا المنظار على ليونته الشديدة التي تسمح بإدخاله عبر تعاريج المعدة والاثنى عشر الى أن يصل الى الفتحة المشتركة التي يصب فيها كل من قناتي : الصفراء الرئيسية والبنكرياس ما تجمع فيهما من عصارات هاضمة الى الامعاء (انظر الرسم) .



استخراج حصوات المرارة بواسطة جهاز الكي الكهربائي

ومن خلال قسطرة طويلة تمر داخل المجرى الطولي للمنظار يستطيع الطبيب ان يغرس طرفها السفلي داخل الفتحة المشتركة سالفة الذكر ، ويحقن محلولا كيميائيا يملأ به قنوات الصفراء وقناة البنكرياس وبواسطة الاشعة نستطيع رؤية هذه القنوات بعد ملئها بهذا المحلول الكيميائي . ويحتاج هذا المنظار الى طبيب ذي خبرة واسعة وكفاءة ممتازة في مجال تخصصه ، كما يتم تشغيله في غرفة خاصة للأشعة مجهزة تجهيزا جيدا وبها شاشة تليفزيونية ملحقة بجهاز الأشعة لمتابعة ملء القنوات ومكان المنظار والقسطرة أثناء الفحص .

كيف تستخرج الحصاة بالمنظار ؟

وهذا سؤال لاشك أنه تردد في نفسك .. وإليك الجواب : لقد مَرَّ عليك من قبلُ اننا ندخل قسطرة لتشخيص مابقنوات لصفراء من حصى اما عند استخراج الحصاة فإننا ندخل بدلا من تلك القسطرة قسطرة اخرى بها سلك رفيع يصل حتى الطرف السفلى لقناة الصفراء . وبواسطة جهاز خاص للكى الكهربي نستطيع تمرير تيار

كهربي قاطع في هذا السلك الرفيع لعمل فتحة طويلة بالقناة ، وهذا يؤدي الى توسيعها لتسمح بنزول الحصاة تلقائيا في الأمعاء ليتبرزها المريض . كما يمكننا ان نمسك الحصاة بواسطة جفت خاص ونجذبها به (انظر الرسم) ولا يحدث الكي الكهربي أي صعق للمريض لأن شدة التيار المستعملة في الكي تختلف عن

الكهرباء العادية في انها تقطع الانسجة بشدة الحرارة المتولدة ولاتتسبب في اي ألم أوكهربة للمريض . وتستغرق عملية استخراج الحصاة بالمنظار دقائق دون حاجة لتخدير او جراحة او فتح بطن .

ويبقى الحديث عن العلاج :

ولايمكن ان ندخل في تفاصيل ذلك وإلا طال الحديث وطال . وحسبنا أن نأتي بخلاصة موجزة تاركين التفاصيل للسيد الطبيب المعالج فلكل حالة مرضية ملابساتها وظروفها التي قد لاتتفق مع حالة أخرى .

اولا : **التدخل الجراحي** .. ويكون باستئصال الحوصلة المرارية وما بها من حصى وهي كعملية جراحية يعرف الجراح خطواتها ومضاعفاتها فيتابع مريضه حتى يتم الشفاء بإذن الله .

ثانيا : **إذابة الحصاة** ..

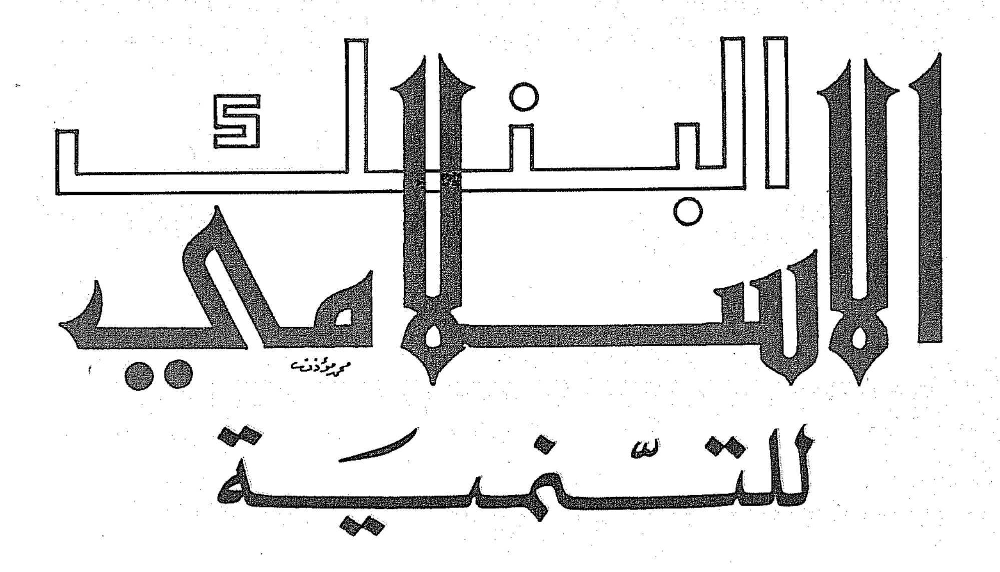
ويتم ذلك بواسطة عقار جديد وهذه الطريقة لم تعمم نظرا لتكاليفها الباهظة وطول مدة العلاج التي قد تمتد الى عامين كما انها تتطلب عمل اشعات متكررة كل ثلاثة أو ستة اشهر لمعرفة تأثير العقار على الحصى ، كما تتطلب ان تكون الحوصلة المرارية المحتوية على الحصى سليمة أي ليس بها التهابات مزمنة ، ولا تزال الأبحاث مستمرة في هذا المجال وأملنا في الله كبير وهو سبحانه القائل « **ويخلق ما لا تعلمون** »

ثالثا : **استخراج الحصاة بواسطة المنظار الضوئي كما ذكرنا آنفا** :

وهذه الطريقة تستخدم في حالات معينة مثل : كبر سن المريض أو سوء حالته العامة أو وجود امراض مزمنة كمرض القلب أو تليف الكبد ... الخ . أو وجود حصاة بقناة الصفراء الرئيسية بعد استئصال الحوصلة المرارية وفي هذه الحالة ليس من مصلحة المريض ان يتعرض لجراحة أخرى . أو التهاب قنوات الصفراء الحاد مع تسمم ميكروبي وكل ذلك متروك للسيد الطبيب المعالج .

وبعد ...

فإنا نسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقنا الى اكتشاف الأسباب الحقيقية وراء تكون حصى المرارة ولعل في اجتناب العوامل التي يرجح أنها تؤدي الى الإصابة بذلك الحصى . وقد سبق ذكرها ـ لعل في ذلك ما يخفف نسبة الإصابة به وكما يقولون : «درهم وقاية خير من قنطار علاج »



إعداد : خالد بوقماز و فهمي الامام

أقيمت ندوة على هامش مؤتمر القمة الاسلامي الخامس ـ الذي عقد على أرض الكويت مؤخرا تحدث فيها رئيس البنك الاسلامي للتنمية وكان «للوعي الاسلامي» حضورها الايجابي حيث التقت بالسيد الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك .. ودار بينها وبينه حوار يطيب لنا ان ننشره لقرائنا الاعزاء .

○ ولما كان الاقتصاد عصب الحياة ـ كما يقولون ـ ولما كان الحصول على الرغيف ـ في عالم اليوم ـ يخضع للسياسة .. ولما كانت هناك حكومات وشعوب تتحكم في مصائرها امم وحكومات تملك توجيه الاقتصاد العالمي الوجهة التي تريد ـ فان تلك الحكومات العاجزة عن توفير لقمة العيش ، تبيع حريتها



تصوير:عبدالرحيم ابو شمالة

وكرامتها وقرارها من أجل الحصول عليها .

○ ومن العجيب أن نرى العالم الاسلامي - رغم اتساع رقعته وتوافر إمكانياته ، وتنوع مصادره ، وقد وهبه الله سبحانه كل عناصر الحياة الكريمة : البشرية ، والطبيعية ، إلا أنه لم يحسن استغلالها ، وبقي يعتمد على الغير في الحصول على الضروري وغير الضروري من أجل الحياة ، وعالم اليوم لا يحترم العاجزين ، وإنه لشيء محزن ان نظل عالة على الغير .. رغم ما وهبنا الله .

○ وحتى نخرج من هذه الدائرة .. ونستغل مصادر ثرواتنا في شتى الميادين ..

ترى ما الدور الذي ينبغي ا ن يلعبه البنك الاسلامي للتنمية ؟

○ عن اعمال البنك يقول رئيسه :

إن البنك الاسلامي للتنمية مؤسسة إنمائية تمويلية انشأتها الدول الاسلامية الأعضاء ،، في منظمة المؤتمر الاسلامي ،
وهو مركز واقعي وعملي لتعاون هذه الدول في المجال الاقتصادي .

ثم ذكر أن من ثمرات القرار الذي اتخذه قادة دول منظمة المؤتمر الاسلامي المنعقد عام (١٣٩٠) هـ الموافق (١٩٧٠) م انشاء هذه المؤسسة الاسلامية التمويلية والتي تعمل وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية الغراء .

وقد تم تأسيس البنك الاسلامي للتنمية سنة (١٩٧٥) م وعهدت اليه مهام رئيسية .

— منها المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الاعضاء .

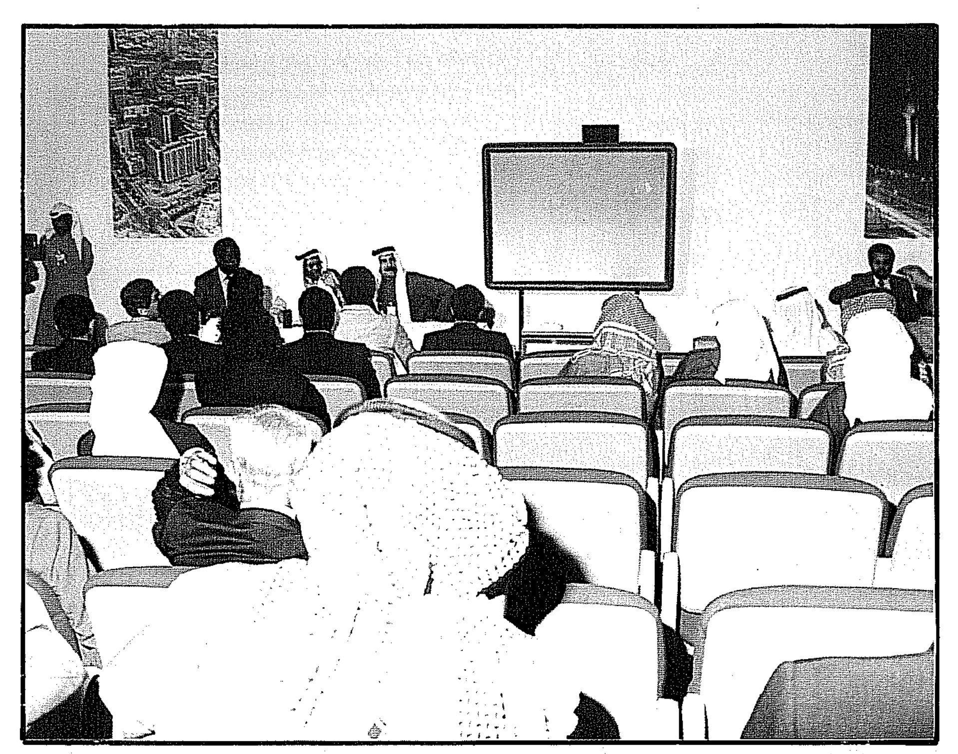
ومن ثم دعم التعاون الاقتصادي بين هذه الدول ،

— والمساعدة على تطوير الجهاز المصرفي والمالي لها ، بما يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية

— وكذلك تقديم العون للمجتمعات الاسلامية لدول غير الاعضاء .

أعضاء البنك الاسلامي :

وقد انضمت الى عضوية البنك في بادىء الأمر اثنتان وعشرون دولة من



الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي ، ثم ارتفع عددها في الوقت الحاضر الى أربع وأربعين دولة ، جميعها في آسيا وافريقيا والشرق الاوسط ،

كما ارتفع رأس مال البنك : رأس المال المكتتب من (٧٥٠) مليون دينار اسلامي الى (١٩٥٨,٣٧) مليون دينار اسلامي ، اي ما يوازي المال المصرح به ومقداره الف مليون دينار اسلامي تقريبا .

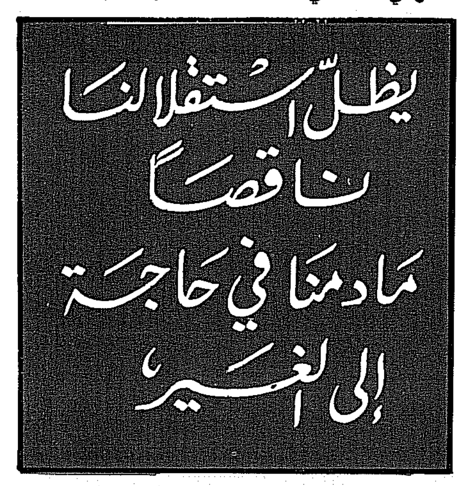
وعن عملياته التمويلية يقول الدكتور / احمد محمد علي :

وقد اعتمد البنك منذ تأسيسه عام (١٩٧٥) م وحتى نهاية (١٩٨٦) م مبلغا ماليا قدره (٥,٥٥) بليون دينار اسلامي اي ما يعادل (٦,٣١) بليون دولار للدول الاعضاء والجمعيات الاسلامية في الدول غير الاعضاء ، وذلك لتمويل المشروعات وتقديم المساعدات الفنية ، وتمويل عمليات التجارة الخارجية ،

وقد تم تقديم العون والمساعدة للدول الأعضاء التي تضررت وستتضرر من جراء الكوارث الطبيعية اذا ما حلت بها .

الى جانب المساعدات التي تقدم لتحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الاسلامية من غير الاعضاء وبخاصة في مجالي: التعليم والصحة .

وقد قام البنك الاسلامي للتنمية



منذ تأسيسه بتمويل العديد من المشروعات ففي مجالات البنية الاجتماعية الاساسية قدم العديد من القروض لتمويل بعض المشاريع الزراعية ، والصناعية والاقتصادية التي تساعد على نهضة وتقدم المجتمع .

ثم قدم لهذه المشاريع القروض وبدون فوائد .

وفي عام (١٩٧٧)م اصبح البنك يساهم في دعم رأس المال اللازم للمؤسسات الوطنية فمول الكثير من المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة الحجم .

والهدف من ذلك رفع مستوى الشعوب في تلك الدول الاسلامية اقتصاديا واجتماعيا .

وفي نفس العام بدأ العمل بالتمويل عن طريق التأجير ، وكان قد رصد مبلغ (٤٣٨٥,٧٦) بليون دولار

عالمنا الاسلامي أنعم الله عليه بخيرات لم نحسن استغلالها!

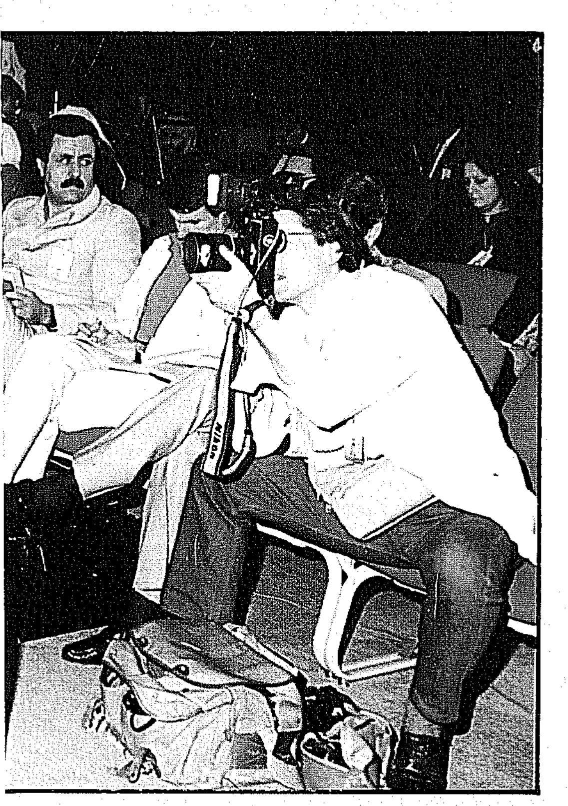
امريكي لفترة ما بين عام (١٩٧٧)م و(١٩٨٦)م وذلك لتمويل المشاريع التنموية ، واستيراد السلع الانتاجية والوسيطة الهامة التي تحتاجها وذلك لتنشيط الانتاج المحلي في الدول الاعضاء .

ولم يقف البنك عند الدعم المالي للصناعة بل تعداه الى التجارة ، وفي هذا المجال قام البنك بتحويلات قصيرة الأجل هدفها تنمية الدعم التجاري بين الدول الاسلامية . وقد بلغ مجموع التمويلات التي قام بها البنك ستة بلايين دولار أمريكي حتى تاريخه .

علاقة البنك بمنظمة العالم الاسلامي :

والعلاقة ما بين البنك الاسلامي للتنمية ومنظمة العالم الاسلامي ، علاقة عضوية لان جميع الدول الاعضاء في البنك الاسلامي للتنمية يجب ان يكونوا اعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي

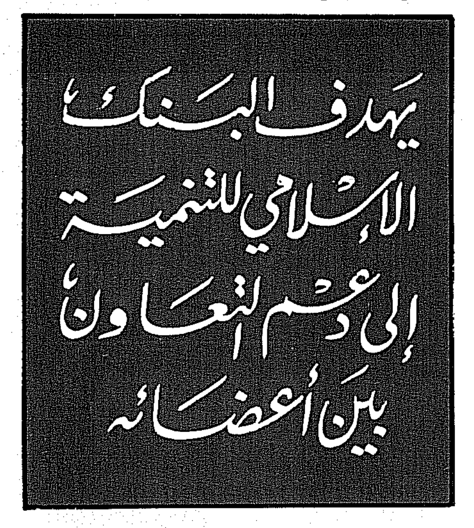
وهكذا فان البنك يتعاون مع جميع الهيئات والمؤسسات الاسلامية وعلى الاخص اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والاجتماعي والتي يرأسها فخامة رئيس الجمهورية التركية . ومنذ أن نشأت هذه اللجنة والبنك الاسلامي للتنمية يتعاون معها لتحقيق الاهداف التي انشئت من أجلها فهي تساعد على دعم التعاون الاقتصادي والتجاري بين الدول الاسلامية وآخر برنامج اعتمدته اللجنة البرنامج الذي أعلن عنه فخامة رئيس الجمهورية التركية في خطابه



اثناء مؤتمر القمة وهو أطول البرامج اجلا .

ويهدف إلى زيادة دعم التبادل التجاري بين الدول الاسلامية عن طريق تنويع الصادرات في فنرات قد تصل الى خمس سنوات . وقد انضمت الى هذا البرنامج اربع عشرة دولة من الدول الاعضاء حتى الآن .

وبعد هذا العرض لنشاط البنك واهدافه والانجازات التي قام ويقوم بها جاءت هذه الاسئلة ، ليتولى الاجابة عليها رئيس البنك .



م ـ اذا تقدمت دولة ليست عضوا في منظمة المؤتمر الاسلامي بطلب للحصول على قرض أو إنشاء مشروع فما شروط موافقة البنك على ذلك ؟





ـ ان عمليات البنك الاسلامي محصورة في الدول الأعضاء اولا ، ولكن البنك لن يبخل بتقديم مساعدات للمجتمعات الاسلامية في بعض الدول غير الاعضاء فيه وعلى سبيل المثال لدينا برنامج قيمته (٣٠) مليون دولار ومدته خمس سنوات لدعم المؤسسات والجامعات التعليمية التابعة للمسلمين في الهند . وهناك برنامج مالي لدعم المدارس والجامعات في سيريلانكا والفلبين ، والعديد من المجتمعات الاسلامية في الدول غير الاعضاء .

ب ـ ما موقف البنك الاسلامي في حال فشل اي مشروع ممول من قبله

ـ البنك حريص قبل الدخول في تمويل اية مشروعات على ان تكون لديه دراسة وافية كافية قدر المستطاع حتى لا ينزلق في الخطأ ، ولكن ربما تحدث طوارىء خارجة عن الارادة ، وهذا قليل ، وفي مثل هذه الحالة شأن البنك شأن المساهمين الآخرين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .

جـ ـ أنتم تعلمون أنه حدثت ضجة كبرى حول عدم توزيع الأرباح في بعض البنوك الاسلامية فما رأيكم في هذا الموقف ؟

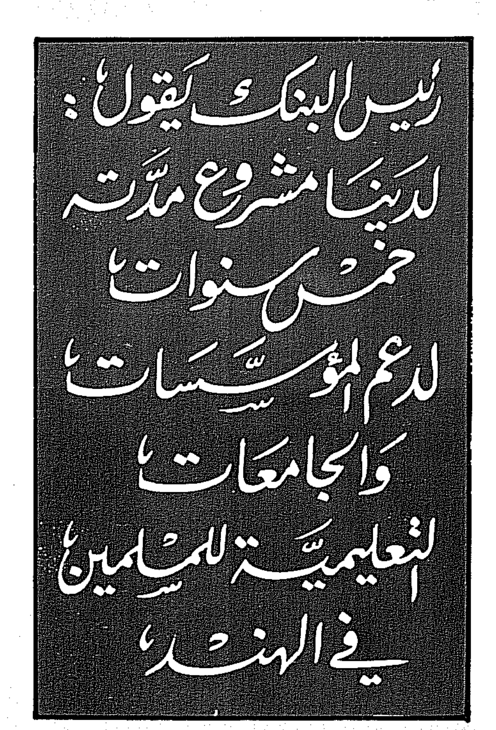
ـ بما أن البنوك الاسلامية بنوك انمائية فهي تختلف عن البنوك الاخرى فالبنوك الاسلامية ذات ارتباط وثيق بالنشاط الاقتصادي العام وبما ان هذه البنوك ذات ارتباط



الدولة المقام فيها .

وان يكون من مشروعات البنية الاساسية فيها كانشاء الطرق او فتح مطارات او بناء موانىء بحرية . وفي مثل هذه الحالة تقدم القروض بدون فوائد . وتقدر التكاليف الادارية الفعلية للقرض والتي يتولاها البنك بما نسبته (٢,٥٪) ومن المتوقع نقصان هذه النسبة بسبب زيادة اعمال البنك وفي مثل هذه الحالة فان تكاليف المشروع الواحد ستقل ، وبناء على ذلك فان النسبة ستقل تبعا .

هـ ـ ذكرتم ان عدد الاعضاء المشتركين في البنك الاسلامي للتنمية ـ حاليا ـ اربع واربعون دولة في حين ان عدد أعضاء منظمة المؤتمر



وثيق بالانشطة الزراعية والتجارية فهي تتأثر بسرعة بالاوضاع الاقتصادية العالمية منها والمحلية ، وفي مثل هذه الحال نقص ارباح البنك يعتبر أمرا طبيعيا ، وهو لا يدل بأية صورة من الصور على عدم جدوى هذه البنوك بل يعكس صورة الاوضاع الاقتصادية محليا وعالميا .

د ـ ما شروط القروض المقدمة من البنك للدول الأخرى ؟

ـ من شروط القرض ان يكون المشروع الممول من قبل البنك ذا جدوى اقتصادية او مالية او اجتماعية .

وان يحظى بالاولوية بالنسبة لخطة

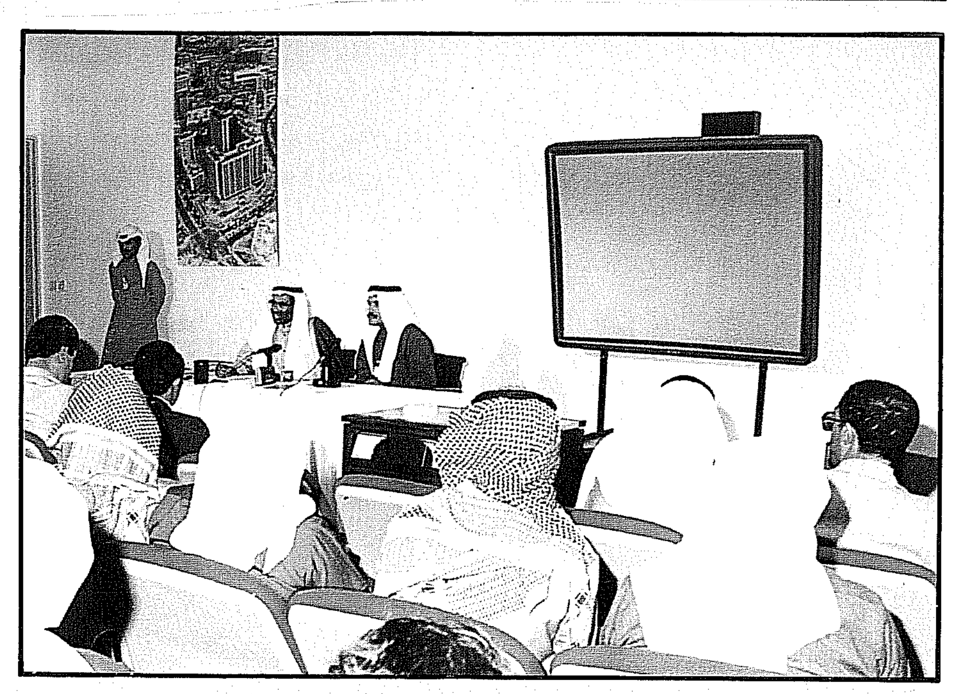
الاسلامي ست واربعون دولة . فما سبب عدم مشاركة الدولتين الآخريين ؟

ـ ان جميع الدول الاسلامية الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي اعضاء في البنك الاسلامي للتنمية ، باستثناء ـ نيجيريا ـ وايران ـ وكما تعلمون فان نيجيريا قد انضمت ـ حديثا ـ لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، بينما لم تنضم ايران للبنك حتى الآن ، وبذلك يصبح عدد الأعضاء المشتركون في البنك اربعا واربعين دولة .

و ـللبنك الاسلامي للتنمية نشاطات ومشاركات في تمويل العديد من المشروعات ، فهل للبنك نية في ان تكون له نشاطات خاصة به على مستوى الدول الاسلامية ؟؟

ـ ان نشاطات البنك تهدف بالاساس الى مصلحة الدول الاعضاء ، فالمشروعات ، اما ان تقدم بصورة مباشرة من الدول ، واما أن يبعث البنك البعثات الى الدول الاعضاء للتعرف على المشروعات الجديدة التي يكون هدفها خدمة الأعضاء

البنوك الاسلامية ذات ارتباط

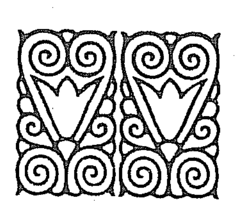


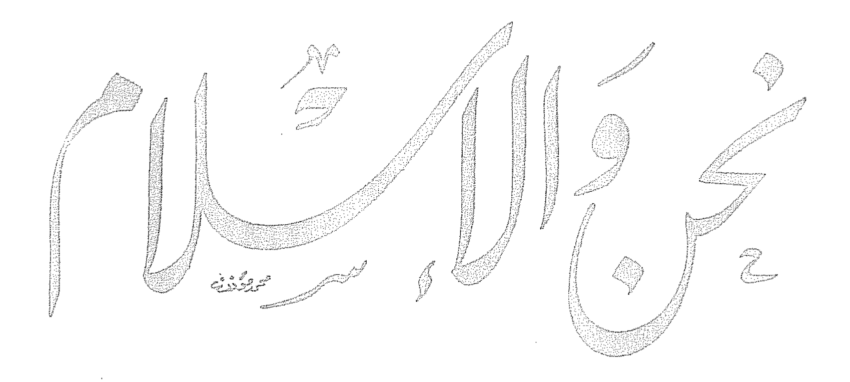


وثيق بالنشاط الاقتصادي العام

ز ـ تعاني بعض الدول الاسلامية من الفوائد التي نتجت عن القروض التي تأخذها من بعض الدول الاجنبية . فهل للبنك دور في تخفيف تلك الفوائد عن الدول الاعضاء .

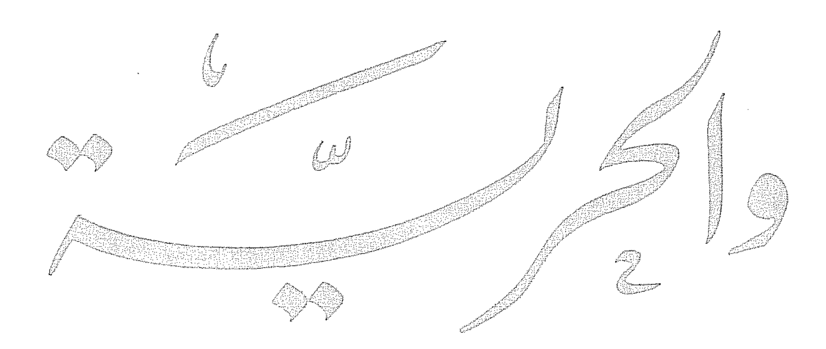
ـ من الصعب على البنك ان يتدخل فيما يتعلق بالقروض التي تتم بين الدول الاعضاء وجهات اخرى ، لكن البنك في عملياته الخاصة لا يتعامل بالربا او ما يسمى بالفائدة ، فقط كما قلنا سابقا نأخذ ٢,٥٪ نظير التكاليف الادارية الفعلية للقرض . لذلك فان البنك لا يواجه اية مشكلة بهذا الصدد ، فالقروض تعطى مقابل مبالغ مقطوعة لتغطية التكاليف الفعلية ، وهذه التكاليف متدنية جدا اذا قورنت بتكاليف الاموال الاخرى التي تؤخذ من السوق كما ان هذه المبالغ ثابتة بمعنى انها لا تتزايد مع عملية اعادة الجدولة ، لذلك فهذه المشكلة غير موجودة بالنسبة للبنك الاسلامي للتنمية .





كل من ينعم النظر في أحوال الناس ، وقصة السعادة والشقاء في تجاربهم وكفاحهم في الارض تطالعه من أمرهم حقيقتان بارزتان : وهما أن الفرد الانساني بما أوهب من قدرات حياتية فذة في التفكير والاستنتاج ، وفي المحاولة والتحدي الدائمين وفي جمع التجارب لزيادة الفعالية في الهجوم على حائط المجهول ، والكشف عن خبيئات الأسرار ، له ذاتية تميزه من سواه ، وتبرز له شخصية محددة ، وكيانا مستقلا ، وهي ذاتية عزيزة عليه ، أثيرة عنده ، تنبع منها ارادته ، ولا يطيق فيها التكبيل والتقييد ، ولا يسيغ في أمرها التسلط والاستحذاء . تلك حقيقة .

فأما الاخرى ، فهي أن هذا الانسان نفسه لا يطيق العيش المنفرد ، ثم هو لا يملك أن يبدع إما عاش وحيدا ، وحاجته إلى التجمع هي كحاجته إلى الحياة نفسها ولابد لكل تجمع من نظام ينسق نشاط الأفراد ، ويوفق بين مجالات مختلف « الذاتيات » التي تناضل جميعها لإثبات قدراتها ، والتفوق على من عداها ، ومن هنا تتعرض الانسانية للتضارب الحتمي بين مطامح الفرد كذات حرة مستقلة ، وضرورات المجتمع كنظام ذي حدود وقيود وليس ذلك فحسب ، وإنما المجتمع البشري يمتاز باختلاف وتنوع عظيمين بين قدرات الأفراد ومواهبهم ، فمن هؤلاء من لا ينتهي عند غاية فيما يطمح إليه من تأكيد ذاته ، وإبراز قدراته ، وهو يجد أسباب ذلك مهيأة فيما أوتي من بسطة في العلم أو الفهم ، أو فيما تجمع له من سعى أبيه ، أو حظ يواتيه ، حتى ليكاد لا يتردد في بناء مجده على أنقاض سواه وصهر حظوظ الأخرين وسعادتهم في نيل مشتهاه . وفي الطرف الآخر أفراد هانت أنصبتهم من الموهبة أو القدرة ، وجنت عليهم مواريث هزيلة أو حظوظ مجدبة حتى فقدوا



للأستاذ / أحمد العناني

آلة العيش الكريم ، واستكانوا لصغار يفوت الحقوق ، ويفضي الى العبودية .

وهكذا واجهت البشرية من قديم تحديات الطامعين والأقوياء ، ومسكنة الضائعين والمفاليك من البشر على حد سواء ، وألقى على كاهل التنظيم المسمى بالحكومة أو الدولة عبء ثقيل مبهظ ، هو إفساح المجال لابداع كل ذات بشرية دون تجن على سواها ومن غير إضرار بهيبة التنظيم الحكومي وحاجته إلى أداء رسالته في الاشراف على الأقوياء ، وتلبية صيحات العون للضعفاء . وحينما كانت تنشأ أحوال قاسية طارئة ولا سيما بتغير أشكال المعيشة لدى اختلاف وسائل الانتاج ، وتطور الصور المادية للحياة كانت البشرية تجرب تغييرات شتى في أشكال الحكم لكي تتكيف مع إرادة التطور والتغير ، ومن هذه الأشكال ما يذهب بعيدا في التقييد على الحرية ، والاستبداد بحجة النظام والأمان ، ومنها ما يسرف في تدليل الأفراد ، وإزالة القيود جميعا حتى تستحيل الحياة إلى ما يشبه الفوضى . ومما يزيد الأمر صعوبة أن تفاصيل النظم الناجمة لا يمكن نقلها من بيئة إلى أخرى تغايرها ، ولا حملها من عصر إلى عصر ، وهكذا يتواصل سعي الناس في البحث عن النقطة التي تنتهي فيها حرية الفرد ليبدأ إشراف الدولة ، وهو سعي أزلي يواجه تحديا خالدا ، ومن هنا كان حقا ولم يكن عبثا أن دينا كالاسلام تنزلت به ملائك السماء اقتصر على المبادىء العامة الثابتة القيم في

أمر السياسة والحكم كقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » . ونصت على تحقيق أكبر قسط من التوافق بين سعادة الفرد ومصلحة الجماعة .

ولو استطاع أهل الأرض جميعا أن يكلفوا أنفسهم أو يرضوا لها خسران الذاتية الحرة ، أو قبول الحكومة التي لا تعتذر بالعدل عن كبح بعض الحرية ، لما استطاع ذلك العرب دون سائر الناس . ففي أعماق الذات العربية تنطبع صور السهول الفسيحة ، والامتدادات الشواسع ، وفيها صورة الدفء المشمس والسماوات الصافية الأديم ، فيها الانطلاق من موطن الذل إلى أرض الحرية ، فيها الصحراء التي لا يملك أحد أن يقول على أرضها هذا لي وذاك لك ، وفيها حياة لا تقتضي النفس الأبية غير راحلة وخفيف متاع يتقي بهما الناشط لأمن روحه وقدة الشمس في الهاجرة ، ولذلك كان العرب جديرين أبدا بأن يكونوا اساتذة الحرية ، ودعاة العدالة السامية . ثم جاء الاسلام لكي يتمم مكارم الأخلاق فيجعل مسؤولية المرء أمام الله بغير واسطة ، ويعلن أنه لا اكراه في الدين ، ولا كبرياء إلا لله ، ولاحق لأحد أن يحمل على رقاب الناس ، ولا أفضلية إلا للتقوى أو الكفاية في ارضاء المثل الأعلى ، وليقول : إن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فلا يمكن استعبادهم ، وليحط أثقال الغطرسة المتجبرة أو الارستقراطية الباغية ، ويفك قيود الرق ليصبح الناس في خير عافية ، وليجلب والي مصر وولده ليحاسبا في عدوان على قبطي لأنه ليس في العرب المسلمين واحد من الأراذل وآخر ابنا للأكرمين ، ولكي ترتفع درة عمر فتخفق رأس رجل يتماوت في صلاته لأن هذا التخشع على أعين الناس وسيلة استغلال لطغيان فرد على الآخرين ، وإماتة صريحة لوجود الدين .

ولقد حمل العرب المسلمون سلاحهم في وجه ما استشعروه من نيات سود لتحويل نظامهم إلى استبداد عضوض متشبه بالفرس والروم ، وكانت فتن سوداء كأنها قطع الليل ثم انتهى الحكم الى من لا يفهمون عن جوهر الدين ، ولا يراعون حركة الخلق العربي ، حتى شاء الله أن تنهض الأمة من طويل سبات ، وتتفكر فيما مضى وما هو آت ولو كنا نستطيع أن نخاطب العالم من مكان القوة اليوم لكان العالم حقيقا بأن يصغي الينا بكل جوارحه ، ولكان لدينا خطة السعي لإصلاحه ، ولكننا غير جديرين بهذه الرفعة حتى نرتقي بأنفسنا من وهدات التأخر التي انحدرت بنا إليها عصور الظلام والجهالات الجهلاء . وكيف نملك أن نحمل الناس على التداوي بطبنا ونحن مرضى ، أو أن نضيء الدروب للسارين ومصابيحنا ما تزال مطفأة ؟ لكنه إذا كانت الفترة التي يتوجب انقضاؤها قبل استكمال صحونا واجتماع أسباب القوة لنا هي فترة قاسية شديدة ، فليس يخرج من ذلك ألا ندرك وضع العالم من حولنا ، أو دراسة المشكلات التي نشأت في غيابنا ، أو ما هو أمر من ذلك

وهذا ، أن ننبذ تاريخنا ومقومات ذاتيتنا عند التبصر في أمرنا وأمور الناس من حولنا ، وفيما يغشي الحياة الآن من اضطراب ونزاع ، وفيما أفضت إليه تجارب الآخرين من تشويه لأهداف العدالة بحجج الانتصاف للحرية ، أو جناية على حرية الفرد واستبداد بذاتيته في مقابل « الخبز » الذي لا يغني توفره غناء السعادة الكامنة في أمور أكبر منه ، فما كان بالخبز وحده ليحيا الانسان .

لقد أوغلت أوروبا في عصر الصناعة دون تخطيط أو رصيد من فكر سابقة عن أثر ذلك في معايش الناس الاجتماعية ، ونظمهم السياسية ، وعلاقاتهم بغيرهم من أهل الأرض على ضوء التطور الحتمي للانسانية . ولقد كان يواتيها في القرن الماضي أن تسرف في مفهوم الحرية ما دام نجاح الأفراد الأقوياء إلى أبعد أبعاد النجاح سيأتي على حساب المستعمرات في آسيا وافريقيا ، ولو أن التنافس الأشعبي ما بين دولها العظمى لم يفض الى حرب أولى مدمرة ، وثانية كادت تكون ماحقة ، ولو أن تينك الحربين لم يوجدا ايجادا حتميا صحوة الشرق المستغل المستعبد لكان الليل الذي ران على آفاق الشرق جديرا بأن يتباعد فجره ، وتتسمر في الفلك نجومه ، ولكن الحربين وقعتا والشرق استيقظ ، والعلم تطور بما زاد في إفساد الخطط الانانية الماكرة ، وجسد من خطيئات الاستغلال الوحشي والاستعمار الطفيلي ، وعقد في اوروبا نفسها مشكلات الفروق الهائلة بين الفقير والغني ، وبرهن بما لا يدع مجالا للشك على أن تلك الحضارة التي طاولت الجوزاء بتقدمها الفني والتقني هي حضارة مفلسة في مجالات النفس الانسانية ، متنكرة لأسباب الرفعة الحقيقية ، مثيرة لمشكلات عواص قد ينتهي إهمالها بتدمير آمال البشرية .

وما كانت الحلول التي ظهرت مؤخرا ، والقائمة على الكراهية والحقد ، إلا وسيلة الكفر بالضمير الانساني ، وقدرته الطوعية على إعادة صرح العدالة بغير معاملة الناس كقطعان من السائمة فقدت في سبيل الخبز حرية التمييز ، وتنازلت من أجل المعدة عن روائع الحس الرهيف ومسؤولية الانسان عن روحه وعلائقها بربها ، وما يجد في هذه المسؤولية من حرية في اختيار المصير ، يشرف بها قدر الانسان الذي لم يخلق حيوانا أعجم . فما الذي تؤكده ياترى المواعظ المستقاة من تجارب الآخرين الذين باتوا يبحثون دائبين عن الموقع الذي تنتهي عنده حرية الفرد لتبدأ مسؤولية الدولة ؟ وما هي الأسس التي يجب أن نشيد عليها صرح الحضارة الواعدة التي نرتقب على يقين كالنهار أن نصل بها مستقبلنا بماضينا بحيث نصبح للعالم هداة كما أراد الله لنا أن نكون خير أمة أخرجت للناس ترفع منائر القيم المثلى ، وتناضل لازالة فضائح هذا العالم الكبرى ؟

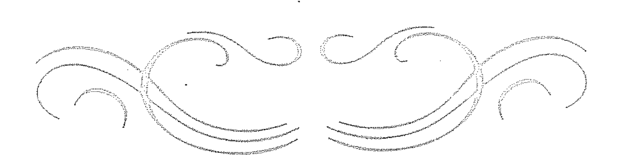
لقد أكدت روح هذه الأمة أن معاقبة الجبابرة تكون بالسيوف ، وأن نصرة الضعاف والمحاويج فروسية وعزة ودين حق تزكو به النفوس ويأمر بالمعروف . ولما كانت الحرية الايجابية التي تجمع الحرية السياسية والاقتصادية معا ، والتي هي في صميم أنفسنا وتقاليدنا ومثلنا العليا ، لاتقر التجاوز على الناس بغير حق ، ولا تبيح التملك في غير حل ، ولا تسمح بالاستغلال في حال من الأحوال فإن في وسعنا أن نعطي حضارتنا مفهوما صحيا نقيا للحرية لا يمكن أن يحد من نشاطات الافراد وعبقرياتهم ، ومع ذلك يحفظ للناس توازنا معقولا في الاقتصاد والمعايش . ولما كان العدل عندنا عبادة ، وتفضيل الكفاية دينا فإننا واجدون تجاوبا كاملا من جماهيرنا في حماية السعي الشريف للانتاج الأمثل في كل ميادين الحياة . وفي مثل هذه الأجواء ترتقي المعرفة ويزدهر العلم وهما أداتان من أدوات السعادة،ألسنا نحن كنا أهل العلم النافع ، وكان مناخنا يصوغ في بطون حفلّ بالحياة فنون الحيل الميكانيكية لتسهيل حركة الإعمار والانتاج ، وأشكال المبتدعات الكيمائية والمختبرية لإعداد أسباب الهناء والدواء ؟

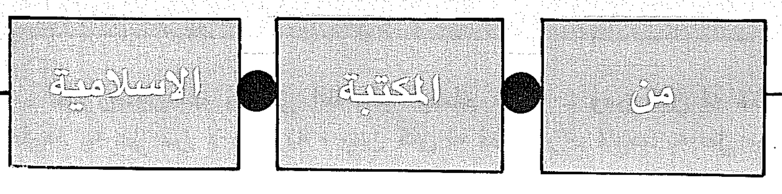
ألسنا نحن الذين استنزلوا المعرفة من تهويمات الهلوسة الهوائية عند اليونان إلى أسواق العمل والتطبيق والانتاج ؟

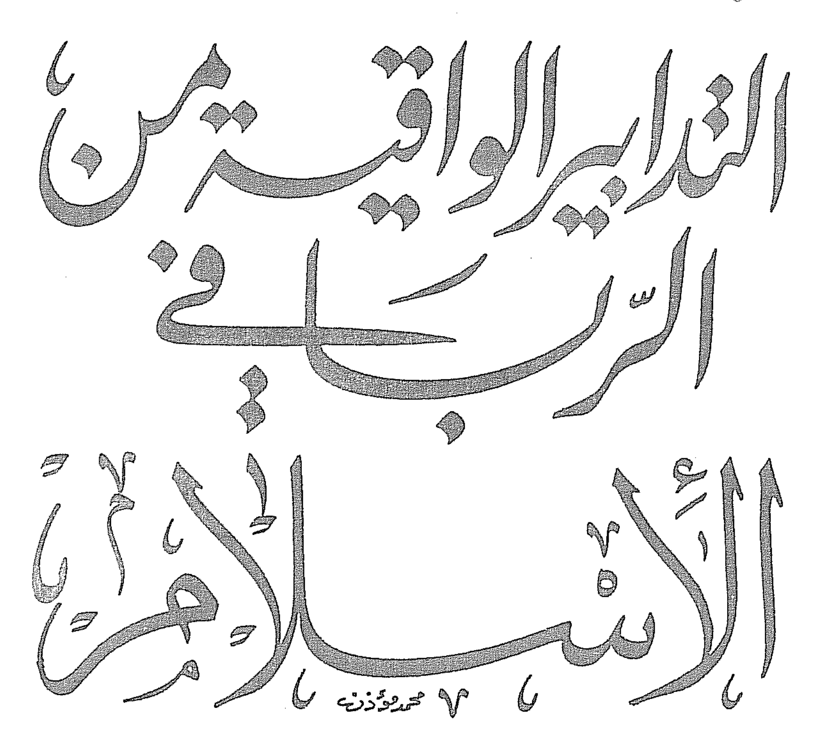
ألسنا نحن الذين تحررت بنا العقول من عبادة الأصنام من كل نوع ؟

ونحن الذين سخرنا الأرقام واستحدثنا الجبر والكيمياء ، وشرفنا الفكر والبحث ، وجعلنا العلم فريضة ، ونفع الناس دينا ؟

ان العالم الآن يعيرنا من السمع والبصر ما لم يكن يفعله قبل ثلاثين أو أربعين سنة من الزمان ، وإننا الآن مهما يشتد اللغط في صفوفنا ويتعاظم النقاش والحوار بل والخصام بيننا ، آخذون بلا ريب في السير إلى مكان القوة الذاتية التي لا يمكن أن يسمع لنا قول أو رأي بدونها . وفيما تتكاثر العقول المدبرة في صفوفنا وتشتد السواعد المتينة وتزداد الأيدي الصناع بين أبنائنا يزداد البحث والتركيز في شؤون المقومات الأساسية لحضارتنا ، ولن تكون هذه في غير الحرية الايجابية النظيفة التي تكسر غرب البغي ، وتجبر كسر الضعف ، وفي العدالة التي تفصل بين الناس على هدى الله بالحق ، وتصل أمر الدنيا بالآخرة على استنارة وهدى وكرامة .







عرض : الأستاذ صلاح أحمد الطنوبي

يبني الاسلام المجتمع على تعاطف يوجب على الغني أن يمد يد العون للفقراء والمساكين وذوي الحاجة ، كما يبنيه على تعاونية قوامها التراحم والتواد ؛ حتى يكون كل مؤمن سندا لأخيه المؤمن ، وحتى يكون المجتمع الاسلامي كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، فالغني يعين الفقير ، والقوي يساعد الضعيف ، ومن له زيادة على حاجته من مال أو ملبس أو طعام يرجع بها على من لا يملك من ذلك ما يكفيه .

قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « .. ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » . أخرجه مسلم وأبوداود

على هذه الأسس القويمة والمبادىء الكريمة بني المجتمع الاسلامي ، ومن أجل ذلك حرم الاسلام أنواع المعاملات التي لا تتفق مع مبادئه وروحه وأهدافه ، ومنها « الربا » ، الذي يقوم على الاستغلال وانتهاز حاجة المحتاج .

● والكتاب الذي أقدمه للقارىء تحت عنوان :

« **التدابير الواقية من الربا في الاسلام** » ، أعده الشيخ الدكتور فضل إلهي ، وهو رسالته العلمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (كلية الدعوة والاعلام) الرياض - المملكة العربية السعودية - للعام الجامعي ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ ، وأشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الشيخ مناع خليل القطان - مدير الدراسات العليا بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .. ونالت الرسالة مرتبة الشرف الأولى .. وتقع في ٦٢٩ صفحة

● سبب اختيار الموضوع ●

قال المؤلف في مقدمة الرسالة : « إن الربا أساسه ظلم ، حيث يستغل صاحب المال حاجة المحتاج إلى المال ، ويضمن لنفسه مبلغا محددا من المال في جميع الأحوال ، إضافة إلى ذلك يوسع الربا الفجوة بين طبقات الناس ، وينشيء الحقد والغضب في قلوبهم ويكون سببا لكثير من الخصومات والمنازعات بينهم .. كما أن الربا سبب للاضطراب الاقتصادي ، حيث يؤدي إلى ترك الزراعات والصناعات ، ويتسبب في خفض الانتاج ، وانتشار البطالة ، وغلاء الأسعار .. ، وكان من حكمة الخالق العليم الحكيم أنه حرم الربا ، وجعله من أكبر الكبائر ، وأنزل في شأنه أخوف آية في القرآن الكريم ، وآذن بالحرب من لم يتب عنه .. ، وبين رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أنه من المهلكات ، وأن معصيته أشد من ست وثلاثين زنية ، كما لعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه » .

وقال أيضا : « وعندما نتدبر أمر الربا ، نجد أن الله تعالى لم يقتصر على

تحريم الربا على الناس فحسب ، بل عوضهم عنه بفتح مجالات عديدة تغني عن التعامل الربوي ، فعوض الله تعالى المحتاجين إلى المال عن التعامل الربوي بإقرار حقهم في الأموال السلطانية وفي أموال الأغنياء ، وجعلهم مستحقين لمساعدة الأقارب والجيران والمجتمع والدولة الاسلامية ... كما أباح لهم الاقتراض بدون الربا ، ووسع لهم مجالات كسب الحلال من زراعة وتجارة وصناعة وإجارة ، كما أذن لهم بالعمل لكسب المعيشة منفردين أو مشتركين مع الآخرين في صور عديدة من مزارعة ومساقاة ومضاربة ، وغير ذلك من أنواع الشركات ، كما أبدل الله تعالى أصحاب الأموال بفتح مجالات عديدة للاستثمار الحلال من الاقراض بالربا .. إلى جانب هذا منع الله تعالى الناس عما يجرهم إلى الربا ، فحث على اتقاء الشبهات ، وحذر من الحيل ، وحرم إضاعة المال بالتبذير والاسراف ، وشرع الحجر على السفيه ، ونهى عما يوسع الفجوة بين طبقات الناس ، فأخرج بعض الأشياء من نطاق الملكية الخاصة ، ومنع أن تكون الأموال السلطانية دولة بين الأغنياء ، وفرض على الأغنياء زكاة وواجبات أخرى ، وحثهم على الانفاق ، وسن نظام الارث ... » .

● إن المصائب والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي تعانيها البشرية بسبب انتشار التعامل الربوي .. جعلت الباحث يفكر في بيان ما فتح الله تعالى للبشرية من مجالات عديدة لكسب الحلال بدل الوقوع في المراباة ، وما نهى الله تعالى عنه مما يجر الناس إلى المراباة ..

● **والرسالة في أربعة أبواب وخاتمة :**

والباب الأول جاء تحت عنوان :

« **الربا : مفهومه وحكمه ومضاره** ، وجاء في خمسة فصول : **الأول** مفهوم الربا ، « **والثاني** » موقف الحضارات القديمة والشرائع السماوية السابقة من الربا ، « **والثالث** » حكم الربا في الاسلام ، « **والرابع** » شبهات مردودة حول تحريم الربا ، « **والخامس** » : مضار الربا .

والربا في اللغة : الزيادة ، ويقال : أربى فلان على فلان » إذا زاد عليه ومنه « ربا شيء » إذا زاد على ما كان عليه ، ومنه « الربوة » المكان المرتفع ، ومنه « أربى فلان ماله » حين صيره زائدا .

والربا في اصطلاح الفقهاء : الزيادة في أشياء مخصوصة .. ويطلق الربا على كل بيع محرم ..

● حكم الربا في الاسلام :
يقول المؤلف : حرم الاسلام الربا ، يقول الله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** آية ٢٧٥ ـ سورة البقرة .
وأمر الله تعالى بتركه .. يقول الله عز وجل : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين)** . آية ٢٧٨ ـ البقرة كما نهى الله تعالى عن أكل الربا حيث يقول عز من قائل : **(يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتقوا النار التي أعدت للكافرين)** آية ١٣٠ ، ١٣١ آل عمران
فأوعد الله تعالى المؤمنين بالنار التي أعدت للكافرين إن لم يتركوا الربا .. وقد روي عن أبي حنيفة (رحمه الله تعالى) أنه كان يقول : « هي أخوف آية في القرآن ، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه » .
كما وعد المؤمنين برحمته إن هم أطاعوه فيما نهاهم من أكل الربا وغيره من الأشياء حيث قال تعالى في الآية التي تلي الآيتين السابقتين **(وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)** آية ١٣٢ ـ آل عمران
إلى جانب هذا أمر الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » أمته باجتناب الربا . فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله ! وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » . رواه البخاري
ولم يقتصر الاسلام على بيان تحريم الربا ، بل أذن الله تعالى بحرب من لم يتركه يقول سبحانه وتعالى : **(فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)** آية ٢٧٩ ـ البقرة
وروى الامام أحمد عن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية »

● عقوبات دنيوية وأخروية بسبب الربا :
يوضح المؤلف ضرر الربا وما يترتب عليه من عقوبات وما قاله في ذلك لا يقتصر ضرر الربا على من يعمل به فحسب ، بل يصيب المجتمع الذي يظهر فيه .. روى الامام أبويعلي عن ابن مسعود « رضي الله عنه » عن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « ما ظهر في قوم الزنى والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله » .
ويعرض المتعامل بالربا نفسه لعقوبات دنيوية عديدة ، حيث يفقد حرمة

نفسه وماله ، حتى ولو كان منتميا إلى الاسلام ، ويجعل عهده مع المسلمين عرضة للالغاء إن كان من غير المسلمين .. وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » لا يصالح من يأكل الربا .. إلى جانب العقوبات الدنيوية سينال المتعاملين بالربا عديد من العقوبات في الآخرة ، ومن تلك العقوبات أنهم سيبعثون مجانين ..

يقول الله تعالى : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**) آية ٢٧٥ ـ البقرة

ومن العقوبات أنه سيوقف آكل الربا في نهر من دم ، ويرمي بحجر في فيه .. وستصير بطونهم كالبيوت ، ترى الحيات من خارجها ، فقد روى الامام ابن ماجه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت ، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا » ورواه الامام أحمد في المسند

ولم يقف الاسلام عند تحريم التعامل الربوي ، بل حرم تقديم أي مساعدة للتعامل الربوي ، فقد روى الامام مسلم عن جابر (رضي الله عنه) قال : « لعن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » آكل الربا ، وموكله وكاتبه ، وشاهديه » وقال : « وهم سواء » .

ويقول الامام النووي أثناء شرحه للحديث الشريف : « وهذا تصريح بتحريم كتابة المبايعة بين المترابين والشهادة عليها والله أعلم » .

ويقول الأستاذ الدكتور فضل إلهي : « ويقاس على تحريم كتابة المبايعة الربوية والشهادة عليها تمكين مؤسسة ربوية من محل إيجار ، وإعانتها بنشر إعلاناتها وغير ذلك من الأمور التي تساعدها على المراباة والله تعالى أعلم بالصواب » .

● وقد رد المؤلف على بعض الذين يثيرون الشبهات حول الربا ، ومن تلك الشبهات : « الربا المحرم هو ربا البيوع دون ربا القروض » ، وشبهة « قصر الربا على ما يعطى لاجل تأخير دين مستحق » ، وشبهة « قصر الربا على الأضعاف المضاعفة » ، وشبهة « قصر تحريم الربا على القروض الاستهلاكية » ، وشبهة « جواز أخذ الربا على الأموال المودعة في بنوك الكفار » .

● **المضار الاقتصادية والاجتماعية للربا :**

بين المؤلف أن للربا تأثيرا على اقتصاد المجتمع الذي ينتشر فيه ، فقال : إنه يصرف أصحاب الأموال عن استثمار أموالهم في المشروعات المفيدة للمجتمع ، ويوسع دائرة البطالة ، ويسبب ارتفاع الاسعار .. ويجعل الربا

المقترض للحاجات الشخصية في دائرة الشقاء ، لا يكاد يخرج منها طيلة حياته ..

ويقوم التعامل الربوي على أساس استغلال حاجة الآخرين ، حيث ينتظر المرابي المحتاجين إلى ماله ؛ ليس ليساعدهم ، بل ليجد فريسة تحقق رغبته في امتصاص دم الآخرين . وإذا ساد النظام الربوي في مجتمع يذهب المعروف بين الناس ، حيث لا يجد المحتاج من يواسيه أو يقرضه قرضا حسنا ..

ويكون الربا سببا لمواجهة طبقة المدينين ضد طبقة الدائنين ، كما أنه يوسع الفجوة بين طبقات الناس ، ويساعد على حصر الأموال في أيدي طائفة محدودة من الناس ..

● والباب الثاني جاء تحت عنوان :

« **التدابير العامة الواقية من الربا** » ، وجاء في ستة فصول :

الفصل الأول :«ترسيخ الايمان في القلب»،

والثاني : « الحث على اتقاء الشبهات » ،

والثالث : « تحريم الحيل » ،

والرابع « تضييق الفوارق بين الناس » ،

والخامس : « القرض الحسن » ، **والسادس** : « مسئولية الدولة الاسلامية في مكافحة الربا»..

وأساس الوقاية من الربا ـ كما يوضحه المؤلف ـ هو اهتمام الاسلام بترسيخ الايمان وتقوى الله تعالى في القلوب ، وهذا من اهم التدابير الواقية من الربا ؛ وذلك لأن الايمان إذا رسخ في القلب يمنع صاحبه مما يبغضه الله تعالى ، وإن أخطأ المؤمن فسرعان ما يرشده إيمانه إلى الندم على فعله والانابة إلى خالقه تعالى ...

ولقد تكلم المؤلف عن أثر الايمان في الابتعاد عن المراباة ، وأثر الايمان في التوبة من المراباة ..

ولم يقتصر الاسلام على الأمر باجتناب المحظورات التي تتبين حرمتها للمسلم ، بل حثه على الابتعاد عن كل ما اشتبه عليه أمره ، وهذا من أهم التدابير الواقية من المحرمات ومنها « الربا » ؛ وذلك لأن المسلم إذا درب وعود على ترك المشتبهات يكون للمحرمات أترك ..

ويتعامل بعض الناس بالمعاملات الربوية ؛ لكنهم يسمونها بغير اسمها ، ويظهرون غير ما يبطنون .. يحاولون عبثا الاحتيال على الله العليم الخبير .. ضيق الاسلام النطاق على هؤلاء المحتالين ، فحرم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الحيل حيث يقول : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » . روى الحديث الامام أبوعبدالله بن بطة .

وتكلم المؤلف ـ جزاه الله خيرا ـ في الفصل الخاص بتحريم الحيل » عن مفهوم الحيل . والعبرة بما أضمر لا بما أظهر ، وعاقبة المحتالين ، وكشف النقاب عن حقيقة بعض الحيل ، ومناقشة بعض أدلة مجيزي الحيل ..

وعن تضييق الفوارق بين الطبقات يقول المؤلف: ولم يقف الاسلام ـ وهو نظام شامل كامل ـ عند تحريم الربا وتقبيحه بل سد كل باب يساعد على انتشار الربا .. ولما كان وجود التفاوت الكبير بين الناس من تلك الأبواب منع الاسلام كل ما من شأنه إحداث هذا التفاوت ، كما قدم التدابير لتقليله فأخرج بعض الأموال عن نطاق الملكية الخاصة ، كما شرع سياسة عادلة لتوزيع الأموال السلطانية ، وأحاط الأموال التي أباح امتلاكها بقيود عديدة ، فأوجب الزكاة فيها ، وفرض حقوقا أخرى في المال سوى الزكاة عند الضرورة ، كما حث على الصدقات وسن نظام الارث .. وكل هذا وذاك من شأنه تضييق الفوارق بين الناس ..

● مسؤولية الدولة الاسلامية في مكافحة الربا●

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها » .

ومكافحة الربا من أهم أمور الدين ، ولا تتم إلا إذا كانت هناك دولة إسلامية تقوم بواجباتها تجاه هذا الأمر .. ومن واجبات الدولة الاسلامية في هذا الصدد منع اكتناز الأموال في أيدي طائفة محدودة من الناس ، وإلزام الأغنياء بالانفاق على الأقارب ، ومطالبة المجتمع برعاية الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى ... كما أن من واجباتها ترشيد الناس بإنفاق أموالهم وفق الشريعة الاسلامية ، وفرض الحظر على الانفاق في المحظورات ، والحجر على السفهاء والمبذرين والمسرفين ... إضافة إلى ذلك من واجباتها إقراض المحتاجين ، ومساندة المقرضين في استرداد أموالهم ، وتسديد الديون عند عجز المدينين ..

ولا تقف مسؤولية الدولة الاسلامية عند هذا الحد بل عليها أن تلغي نظام الربا وتوقع عقوبات تعزيرية على من يتعامل به ..

● **والباب الثالث جاء تحت عنوان :**

« **التدابير الواقية من ربا القروض الاستهلاكية** »

وجاء في ثلاثة فصول : « **الفصل الأول** » الحث على العمل لكسب العيش ، « **والفصل الثاني** » التكافل الاجتماعي ، و« **الفصل الثالث** » : ترشيد الانفاق .

ومما ذكره المؤلف عن ذلك :

فرض الاسلام على العباد بذل الجهد ؛ لكسب ما لابد منه ، وبين أن رسل الله « عليهم السلام » كانوا يعملون ، وأن للعامل أجرا عظيما ومنزلة كبيرة عند الله تعالى .. ولم يقف الأمر عند فرض العمل على العباد ؛ بل جعل الله لهم النهار معاشا ، وسخر لهم البحر والبر تيسيرا لابتغاء فضله ، كما أباح لهم الاكتساب من مجالات متعددة .. وجعل من واجبات الدولة الاسلامية توفير فرص العمل للناس وتشغيلهم في أعمال مختلفة .

وشرع الاسلام نظام التكافل الاجتماعي ، كي لا يبقى أحد محروما من تلبية حاجاته الأساسية ، ولا يضطر إلى اللجوء إلى الاستقراض بالربا .. فأوجب على الغني نفقة قريبه المعسر ، كما فرض حقوقا للجار على جيرانه ، وجعل المجتمع الاسلامي مسئولا عن محتاجيه ، والدولة ولية من لا ولي له .

والمال الذي يحصل عليه الانسان هو مال الله الذي استخلفه فيه كي ينفق حسب أوامر مالكه الحقيقي ؛ فلا يضيعه بالانفاق في المحظورات ، ولا بالانفاق الزائد في المباحات ..

● والباب الرابع تحت عنوان :
« التدابير الواقية من ربا القروض الاستثمارية » ، وجاء في ثلاثة فصول :
« **الفصل الأول** » مشروعية الاجارة والمزارعة والمساقاة « **والثاني** » : البيع والشراء إلى أجل ، « **والثالث** » : الشركة ..
وقد بسط المؤلف القول عن هذه المعاملات ومن ذلك :
الاجارة : تدبير واق هام لابعاد الناس عن التعامل الربوي .. وأباح الاسلام الاجارة ووسع نطاقها ، روى الامام ابن ماجه عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ..
والمزارعة : وسيلة من الوسائل التي يرزق الله العباد بها ، وتدبير من التدابير التي تساعد الناس على اجتناب الاقتراض بالربا .. وشرع الاسلام بعض الضمانات وبين العلماء بعض الأمور للحيلولة دون تلاعب العابثين بالمزارعة كي يتمكن كل ذي حق من نيل حقه ، ومن تلك الضمانات : كون الأرض صالحة للزراعة ، وكون الأرض معلومة ، وبيان ما يزرع ، وبيان من عليه البذر ..
والمساقاة : وسيلة من الوسائل التي يرزق الله العباد بها .. وشرع الاسلام عديدا من الضمانات وبينها العلماء للحيلولة دون تلاعب العابثين بالمساقاة .. ومعظم الضمانات التي ذكرت لمنع التلاعب بالمزارعة تراعى أيضا في عقد المساقاة ..

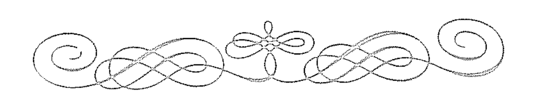
ومن التدابير التي قدمها الاسلام للوقاية من الربا أن أباح الشراء بالنسيئة ، فيستطيع الشخص الذي يريد المعيشة باقتناء السلعة التي ليس لديه ثمنها نقدا ، أن يشتريها نسيئة بدل اللجوء إلى الاقتراض بالربا .. ولم يقتصر الاسلام على الاباحة بل وسع نطاقه وسد الذرائع التي يتخذها بعض الناس وسيلة للتعامل الربوي ، وشرع ضمانات لاسترداد حق صاحب السلعة ؛ حتى لا يستغل أصحاب النفوس المريضة هذه الرخصة لأكل أموال الناس ظلما فيسد هذا الباب الخيري الذي يساعد الناس على الابتعاد عن الاقتراض بالربا ..

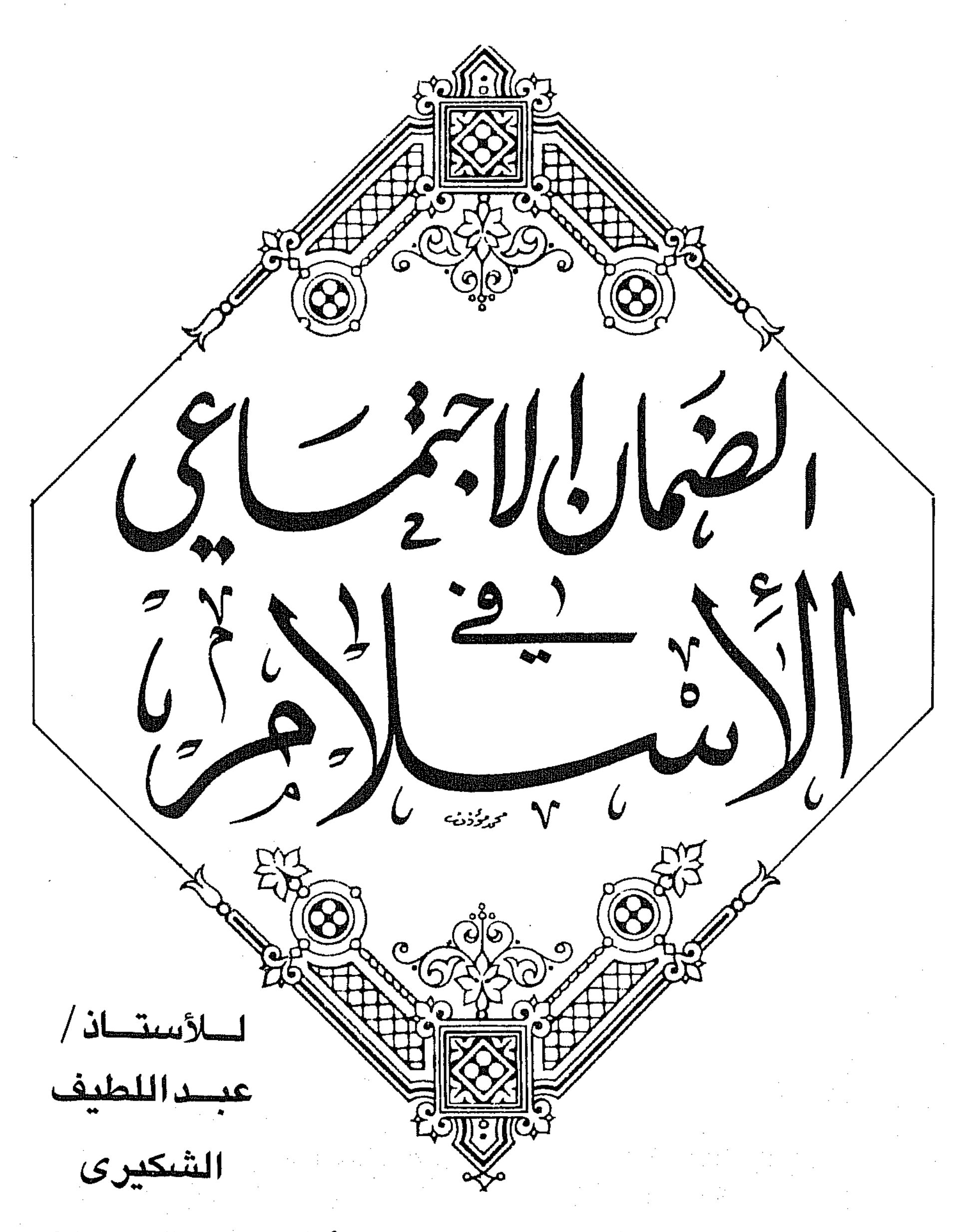
ومن بين التدابير التي قدمها الاسلام للوقاية من الاقتراض بالربا لأهداف استثمارية أن أباح عقد اتفاق على بيع شيء غير موجود وقت العقد عند البائع .. وبذلك يتمكن المحتاجون إلى المال ـ من أصحاب الأراضي والبساتين والمصانع لتدبير نفقاتها ـ من الحصول على المال بعقد اتفاق على بيع منتجاتهم قبل الانتاج ، كما يتمكن الآخرون من الاتجار من غير أن يكون لديهم رأس مال للتجارة .. ولم يقتصر الاسلام على إباحة عقد هذا الاتفاق بل وسع نطاقه ، وبين العلماء شروطه كي يقل احتمال النزاع بين طرفي العقد ويستمر الناس في التعامل بهذا العقد الذي يساعدهم على الابتعاد عن التعامل الربوي ..

وأباح الاسلام الشركة لكسب العيش ؛ وحتى لا يسمح بالاقتراض بالربا ..

روى الامام أبو داود عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الله تعالى يقول : « أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خانه خرجت من بينهما » . والشركة لها أنواع : منها ما تمكن من الحصول على المال والمساعدة في العمل وهي « شركة العنان » ، ومنها ما تسهل الاتفاق مع من يكون مساعدا وعونا في العمل وهي « شركة الأعمال » ومنها ما توسع نطاق الشراء بالنسيئة وهي « شركة الوجوه » ، ومنها ما تهيئ الفرص لحصول المال ، وهي المضاربة .. وكل هذا من غير أن يحتاج المرء إلى الاقتراض بالربا .

● وفي الخاتمة لخص المؤلف ما جاء في رسالته .. هذا وبالله تعالى التوفيق .. والحمد لله على نعمة الاسلام .. وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .





للأستاذ /
عبد اللطيف
الشكيرى

يهدف الاسلام من وراء بناء المجتمع االانساني الخير إلى تحقيق هدفين :

١ ـ إقامة حكم الله في الارض.

٢ ـ بناء مجتمع ذي بنية ذاتية قوية ، تكتنفه السعادة وتحيطه الرحمة ..

فمن أجل تحقيق الهدف الأول يعلن الاسلام ان هدف الحكم هو إقامة نظام الاسلام وتطبيق شرائعه يقول تعالى : « **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » الشورى/ ١٣ ويقول تعالى : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**

وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد/ ٢٥ فيجعل لكل واحد من أفراد الأمة واجبا منوطا به ، لابد له أن ينفذه حتى يحصل على صفة الانسان المسلم .

والاسلام من أجل أن يحقق البنية الذاتية للمجتمع ، ويجعله يعيش في بحبوحة من العيش السعيد يسعى إلى تكثير المؤسسات الاجتماعية داخله ، فيبتدىء في البناء من الخلايا الصغيرة التي تتكون من فردين ، إلى أن تشمل الأمة جمعاء .

وهذه المؤسسات ، بتكافلها ، وتعاونها وحسها الاسلامي وشعورها المتأصل بأنها تحقق السعادة ، وانها أسرة واحدة ، تندفع لتجعل الافراد المنتمين إليها في مستوى واحد من العيش فيتقاسمون البأساء والضراء ، فقيرهم يساعدونه حتى يتمكن من الحياة في المستوى الذي يؤهله لأن يعيش حياة كريمة هانئة ، ومريضهم كذلك يعينونه على الشفاء بالعطف عليه والإحسان اليه .

وتحقيقا لهذه المبادىء السامية ، فرض الاسلام على الدولة المسلمة ضمان معيشة أفراد المجتمع الاسلامي ضمانا كاملا . وتقوم الدولة بهذه المهمة على مرحلتين :

● **في المرحلة الاولى** تهيىء الدولة للفرد وسائل العمل ، وفرصة المساهمة في النشاط الاقتصادي المثمر ، ليعيش على اساس عمله وجهده .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما وقف يودع أحد نوابه على بعض اقاليم الدولة الاسلامية سأله : « ماذا تفعل اذا جاءك سارق ؟ قال أقطع يده : قال عمر : وإذن فإن جاءني منهم جائع او عاطل ، فسوف يقطع عمر يدك : إن الله سبحانه وتعالى استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا اعطيناهم هذه النعم ، تقاضينا حق شكرها . يا هذا إن الله خلق الأيدي لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملا التمست في المعصية أعمالا ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية » .

● **المرحلة الثانية** وهي ما اذا كان الفرد عاجزا عن العمل ، او لا يكسب معيشته كسبا كاملا فهنا تمارس الدولة تطبيق مبدأ الضمان الاجتماعي ، عن طريق تهيئة المال الكافي ، لسد حاجات الفرد ، وتوفير حد معين من المعيشة له .

ويرتكز مبدأ الضمان الاجتماعي في المذهب الاقتصادي الاسلامي على اساسين :

١ ـ **التكافل العام** : فالتكافل العام هو المبدأ الذي يفرض فيه الاسلام على المسلمين كفالة بعضهم بعضا ، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وامكاناته ، يجب عليه ان يؤديها على أية حال ، كما يؤدي سائر فرائضه .

والضمان الاجتماعي الذي تمارسه الدولة على أساس التكافل العام بين المسلمين . يعبر في الحقيقة ، عن دور الدولة في إلزام رعاياها بامتثال ما يكلفون به شرعا ، ورعايتها لتطبيق أحكام الاسلام من طرف المسلمين على أنفسهم فهي بوصفها الأمينة على تطبيق أحكام الاسلام ، والقادرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مسؤولة عن أمانتها ، ومخولة حق إكراه كل فرد على أداء واجباته الشرعية ، والقيام بالتكاليف التي كلفه الله بها . فكما يكون لها حق إكراه المسلمين على الخروج الى الجهاد عند وجوبه عليهم ، يكون لها حق إكراه المسلمين على القيام بواجباتهم في كفالة العاجزين إذا امتنعوا عن القيام بها ، وبموجب هذا الحق ، يتاح لها أن تضمن حياة العاجزين ، وكالة عن المسلمين ،

وتفرض عليهم في حدود صلاحياتهامد هذاالضمان بالقدر الكافي من المال ، الذي يجعلهم قد أدوا الفريضة وامتثلوا أمر الله تعالى . وفي هذا المجال يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فإلينا » ويقول الإمام ابن حزم « فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك . فإن لم تقم الزكوات ولم تفِ أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يقيهم من المطر والصيف وعيون المارة » .

وقد ربط الاسلام بين هذه الكفالة ومبدأ الاخوة العامة بين المسلمين ، ليدلل على انها ليست ضريبة التفوق في الدخل فحسب ، وإنما هي التعبير العملي عن الاخوة العامة ، سيرا منه على طريقته في إعطاء الأحكام إطارا خلقيا يتفق مع مفاهيمه وقيمه ، فحق الانسان في كفالة الآخر له ، مستمد في مفهوم الاسلام من أخوته له ، واندراجه معه في الاسرة البشرية الصالحة . والدولة تمارس في حدود صلاحياتها حماية هذا الحق وضمانه .

٢ ـ ولكن الدولة لا تستمد مبررات الضمان الاجتماعي الذي تمارسه استنادا الى مبدأ التكافل العام فحسب ، بل يمكن إبراز أساس آخر للضمان الاجتماعي ، وهو حق الجماعة في مصادر الثروة . وعلى اساس هذا الحق ، تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين ، بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على افراد المسلمين انفسهم .

وسوف نعالج هذه المسؤولية المباشرة للضمان وحدودها ، ثم نعالج بعد ذلك الاساس النظري الذي ترتكز عليه فكرة هذا الضمان ، وهو حق الجماعة في ثروات الطبيعة .

أما عن المسؤولية المباشرة للضمان : فإن حدود هذه المسؤولية تختلف عن حدود الضمان ، الذي تمارسه الدولة على اساس مبدأ التكافل العام . فإن هذه المسؤولية لا تفرض على الدولة ضمان معيشة الفرد

في حدود حاجاته الحياتية فحسب ، بل تفرض عليها ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يحياه افراد المجتمع الاسلامي ، لأن ضمان الدولة هنا هو ضمان إعالة . وإعالة الفرد هي القيام بمعيشته ، وإمداده بكفايته ، والكفاية من المفاهيم المرنة ، التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الاسلامي يسرا ورخاء . وعلى هذا الاساس يجب على الدولة ان تشبع الحاجات الاساسية للفرد ، من غذاء ومسكن ولباس ، وان يكون إشباعها لهذه الحاجات من الناحية النوعية والكمية ، في مستوى الكفاية بالنسبة الى ظروف المجتمع الاسلامي . كما يجب على الدولة اشباع الحاجات غير الاساسية من سائر الحاجات ، التي تدخل في مفهوم المجتمع الاسلامي عن الكفاية تبعا لارتفاع مستوى المعيشة فيه .

أما الاساس النظري الذي ترتكز عليه فكرة الضمان في هذا المبدأ فمن الممكن ان يكون ايمان الاسلام بحق الجماعة كلها في موارد الثروة ، لأن هذه الموارد الطبيعية قد خلقت للجماعة كلهاالافئة،ون فئة(**هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا)** البقرة/ ٢٩ . وهذا الحق يعني أن كل فرد من الجماعة له الحق في الانتفاع بثروات الطبيعة ، والعيش الكريم منها . فمن كان من الجماعة قادرا على العمل في مجال القطاعات العامة والخاصة ، كان من وظيفة الدولة أن تهيئ له فرصة العمل في حدود صلاحيتها ، ومن لم تتح له فرصة العمل اوكان عاجزا عنه .. فعلى الدول ان تضمن له الحق في الاستفادة من ثروات الطبيعة ، بتوفير مستوى الكفاية من العيش الكريم .

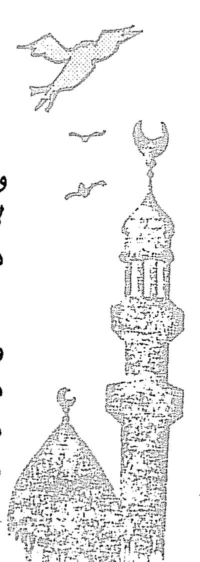
أما الطريقة التي اتخذها الاسلام لتمكين الدولة من ضمان هذا الحق ، وحمايته للجماعة كلها بما فيها من العاجزين . فهي تدخلها في الحياة الاقتصادية ، وايجاد بعض القطاعات العامة التي تتيح لها الحصول على الموارد الكافية بالاضافة الى فريضة الزكاة ضمانا لحق الضعفاء من افراد الجماعة ، وحائلا دون احتكار الاقوياء للثروة كلها .

وقد أكد الاسلام هذا المبدأ تأكيدا صريحا . ذلك اننا نجد في القرآن الكريم نصا تشريعيا رائعا . وهو المقطع القرآني من سورة الحشر ، الذي يحدد وظيفة الفيء ، ودوره في المجتمع الاسلامي بوصفه قطاعا عاما . يقول سبحانه وتعالى : « **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » الحشر ٦و٧ .

ففي هذا النص القرآني ، نجد إشعاعا بالأساس الذي تقوم عليه فكرة الضمان الاجتماعي . وهو حق الجماعة كلها في الثروة (**كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم**) وتفسيرا لتشريع القطاع العام في الفيء ، بكونه طريقة لضمان هذا الحق ، والمنع عن احتكار بعض افراد الجماعة للثروة ، وتأكيدا على وجوب تسخير القطاع العام لمصلحة اليتامى والمساكين وابن السبيل ليظفر جميع افراد الجماعة بحقهم في الانتفاع بالثروة التي خلقها الله ليستفيد منها الانسان .

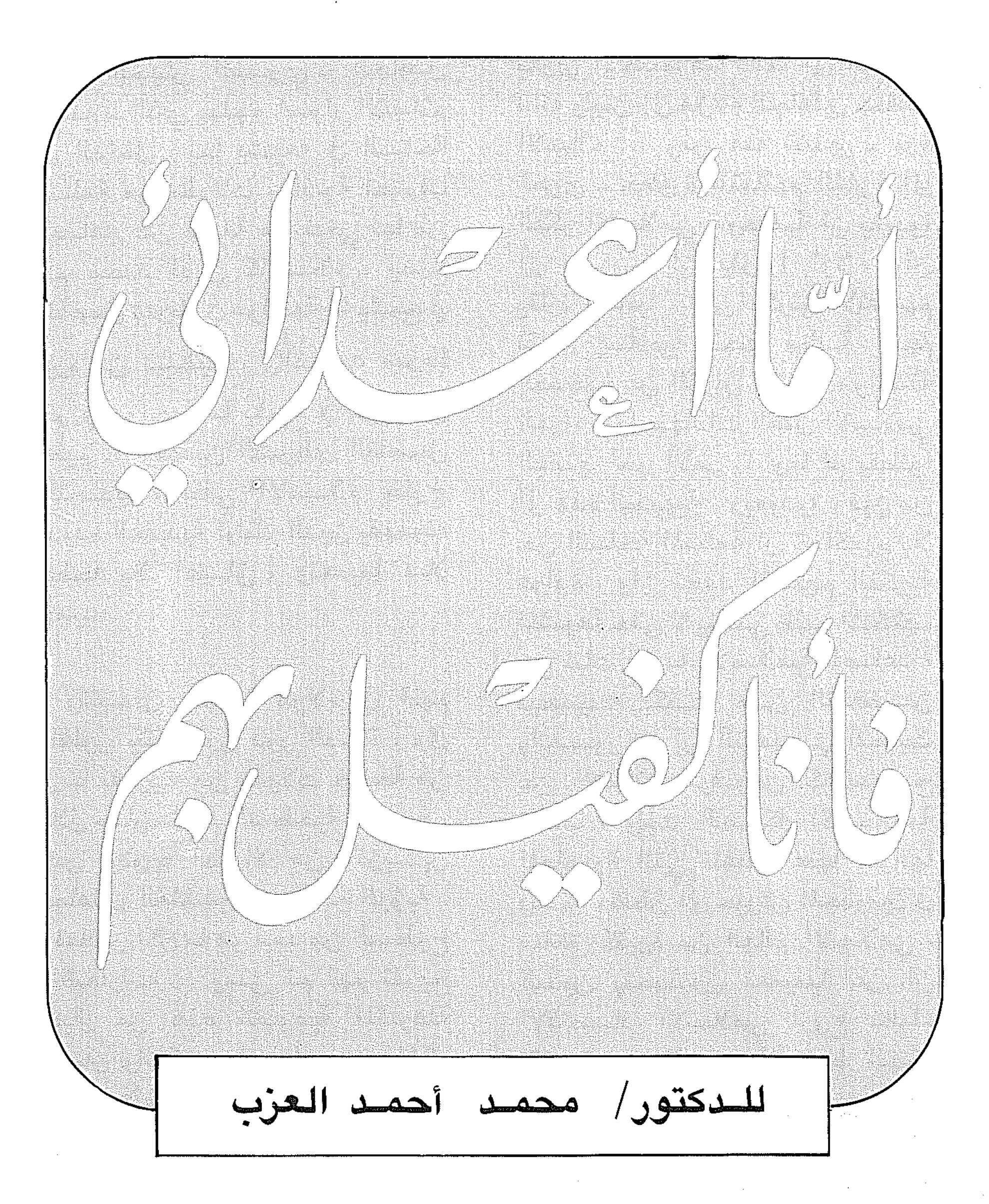
ويرى اغلب الفقهاء ان ضمان الدولة لا يختص بالمسلم . فالذي يعيش في كنف الدولة الاسلامية اذا كبر وعجز عن الكسب ، كانت نفقته من بيت المال ، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندمامر بيهودي فقير ، فأخذه الى بيت المال وقال لعامله : « افرض له ولضربائه من بيت المال »

الصديق



بعد حادثة الاسراء والمعراج .. قال بعض الناس لأبي بكر - رضي الله عنه - هاهو ذاك - يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم - يحدث به - أي بالاسراء - الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ، فوالله انه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله ، من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .

ثم أتى رسول الله وسأله ، والرسول يجيبه ، وفي كل مرة يقول أبو بكر : صدقت ، أشهد انك رسول الله حتى اذا انتهى ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : وأنت يا أبابكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .



للدكتور/ محمد أحمد العزب

هناك حكمة جهيرة تقول : (اللهم احمني من أصدقائي ... أما أعدائى فأنا كفيل بهم) ... هذه الحكمة لا تصدق في عصرنا الحاضر علي شيء قدر ما تصدق على الاسلام والمسلمين ، فالاسلام يوشك من فرط معاناته أن يجأر بهذه المقولة الفادحة ، لأن أشرس السهام التي تسدد إليه من بعض أولئك الذين يزعمون أنهم أصدقاؤه ، وهم ـ من خوائهم الفكري والعقدي ـ يقفون في جبهة أعدائه بغباء شديد ... هذه النوعية من بعض الأصدقاء تشكل

طلائع الجيش السري - الجاهل بالطبع - الذي يهاجم أسوار الاسلام من الداخل ، بما يشيعه في الساحة المسلمة من مقولات ساذجة تصرف الجماهير عن طبيعة ما ينبغي لها من فهم محدد لدين كالاسلام ، يضع التأصيل شرطا في مواجهة ما يشيع في غيره من تسطيح ، والتحديد شرطا آخر في مواجهة ما يشيع في غيره من تعميم ... وبهذين الشرطين التأصيل والتحديد ، ينفي الاسلام خارج حدوده العقيدية أولئك الذين يفهمونه سطحا بلا أعماق ، وتعميما بلا تحديد !

وتتبدى خطورة هؤلاء في أنهم جاهلون يتقمصون دور الدعاة ، وفي أن ما يفرزونه من مقولات جانحة من خلال ممارساتهم السطحية المعممة ، يفرز بدوره أجيالا من المريدين الجاهلين العاشقين لسذاجة الرؤية ، والمعادين لكل ما هو أبعد من السطوح والشعارات ... ومتى تم لهم تفريخ أجيال من هذه النوعية المترهلة الايمان والفكر ، فقد بات من المؤكد ان الاسلام يخوض مع هؤلاء لونا من المعاناة التاريخية الغليظة ، ويقترب تماما من حتمية الصدام معهم ، حتى ولو زعموا مليون مرة أنهم خلاصة اصدقائه الحميمين !!

والمثير في هذه القضية ، أن هؤلاء الذين يتصدون لرفع راية كثير من المضامين الاسلامية - وهم بها جاهلون - يصابون بالإحباط تماما حين يعرض لهم تساؤل عابر ، وقد يعزى الاحباط هنا ظلما الى الاسلام ذاته وليس إلى هؤلاء الجاهلين بحقيقة الاسلام ... ومن هنا تتبدى - مرة أخرى - خطورة انتمائهم الفارغ إلى الفكر الاسلامي ، وحتمية أن يعودوا إلى ضرورة أن يقرأوا أولا ، وأن يقارنوا ثانيا ، وأن يكونوا لأنفسهم ثقافة إسلامية تحت مظلة الفهم الصحيح عن القرآن الكريم ، والسنة الغراء ، واجتهادات العقل الاسلامي البصير آخر الأمر ... وما لم يفطنوا الى هذه البديهية ، ويعودوا ، فإن من حق الساحة المسلمة أن تحاكمهم بلا هوادة ، وأن تحدد إقامتهم الفكرية المشوهة حتى لا ينحني ظلهم المتكاثف على نبات التربة الاسلامية الصاعد ، فيصيبه بكثير من التغضن والضمور !!! إن التعميم في الحديث عن الاسلام مرفوض كالتسطيح تماما ، وليت الحركة الاسلامية المعاصرة التي تنفض عنها سباتها وتفيق ، تفطن الى جيوش المجذوبين في مناطق كثيرة من العالم الاسلامي ، الذين يتحدثون تعميميا عن ان الاقتصاد الاسلامي أروع نظام اقتصادي عالمي . وأن نمط الحكم الاسلامي أعدل نمط كوني ، وأن ضوابط الاجتماع الاسلامي أنظف ضوابط إنسانية .. فإذا سألت أحدهم : وكيف ؟ أسقط في يده ، وعانى من حصار المحدودية الفكرية التي تربى على إيقاعها الرتيب ... مع أنه يستطيع إذا اراد وأخلص الجهد لله أن يرجع إلى ذخائر التراث فيتلقى عنها مبررات ما يطلق من أحكام ، ففي هذا التراث الحاشد تقف

المقولة ـ دائما مع تبريرها العقلي والنقلي بلا فكاك .

إن القضية هنا شيء من شيئين : إما ان ندع هؤلاء الجاهلين يهيلون على وجه إسلامنا آلافا من التسطيحات والتعميمات غير المجدية ... وإما أن نتواصى بإفراز جيل مثقف من الدعاة الذين يقرأون ثقافة تراثهم ، وكل ثقافات العالم ، ويعرضونها بوعي حضاري مؤكد على مخزونهم الثقافي المسلم ، ويستطيعون من خلال هذا التكوين الفكري والعقدي ان يخرجوا إلى جدل العالم وهم واثقون ... لأننا في عصر يميل إلى تعقيل أحكامه وليس إلى تعليقها على مطلقات !!

أحيانا يقال : إن الجهلة بحقائق الفكر الاسلامي من الذين يميلون الى تعميم الأحكام ، وتسطيحها كذلك ، لهم دورهم الفاعل في بعض قطاعات الأمة الاسلامية ، وبخاصة في أوساط الأميين والبادين ، الذين لا يريدون او فلنقل لا يطيقون الاسلام تعليل نظر ، وتعميق مقارنات .. وهو قول باطل تماما ، لأن ما نطرحه هنا ليس دعوة للتفلسف ، وليس محاولة للتعالي على بسطاء الناس ، ولكنه دعوة الى تبرير ما نطرحه على الجماهير ، والخروج من حرفية النص إلى ما يكنز النص في تلافيفه من أسرار ، وتكوين الذهنية المسلمة على هذا الاساس الصحيح ، حتى تتخلق أجيال ترى في الأشياء أبعد من مجرد الأشياء ، وتفهم عن النص مدلوله الحقيقي الحي، وليس مجرد إطاره الخارجي غير المنبىء بشيء ، ومن هنا تبدو حتمية حوارنا حتى مع الأميين والذين لا يتعمقون ، حتمية صميمة ، والقرآن الكريم حين فرض أن يهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة لم يستثن هؤلاء ولا غير هؤلاء ... ربما يعوزنا نحن مع هذه النوعية لون من انتقاء الأساليب الموائمة ، التي تصل إلى أعماقهم وقلوبهم وفكرهم في دماثة وانسياب ، ولكن بشرط أن تحمل إليهم كل طاقة الخصب في الكلمات ، وكل طاقة الفعل في الحركة ، كما أومأ لنا القرآن الكريم بذلك .

شيء آخر تثيره مثل هذه الاعتراضات الساذجة ، وهو أن هؤلاء البسطاء من الأميين والبادين لا يعيشون في مجتمع مغلق لا يعايشهم فيه سواهم ، وإنما هم فصائل موزعة في كل أعطاف المجتمع الاسلامي ، أو موزعة فيهم كل فصائل المجتمع الاسلامي ، فالقرية والبادية فيهما جيل الأبناء والأحفاد ، ومنهم الطالب والمهندس والطبيب والمثقف ، كما أن في المدينة البدوي والفلاح والأمي والعامل ... أي إن المجتمعات الاسلامية ـ بحكم تكويناتها الطبيعية والتاريخية ـ مجتمعات تبادلية ، أي تتبادل كم الطبقات ونوعها بلا توقف ، وإذن فهي في حاجة دائما إلى من يحدثها بوعي ثقافي مؤكد ، ويصحح لها عصورا من التاريخ العقيدي ربما مال أغلبها إلى شواطىء التحريف !!

إن الذين يسطحون حديثهم عن الاسلام ، من هؤلاء المجذوبين الجاهلين ، يجرمون في حق دين يحرك

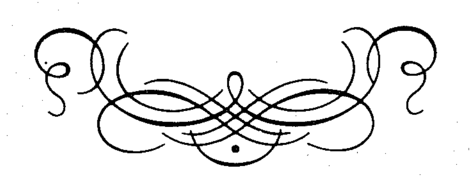
وراء كل ظاهرة باعثا ، وقبل كل ظاهرة سببا ، وبعد كل ظاهرة جدوى ، حتى يصلنا في النهاية إلى ساحة الخالق الأول !!

وكذلك الذين يعممون في حديثهم عن الاسلام ، من هؤلاء المجذوبين الجاهلين هم أيضا جارمين في حق دين حدد حتى التبسم والنظرة والإيماءة الخاطفة ، ولم يترك علاقة من العلاقات للكائن الحي والكائن الطبيعة ، والكائن الكون ، إلا وأقامها على صراط من الجدل النظيف ، وحدد لها مناطاتها السوية ، ومناطاتها الجانحة !!

وليتهم فهموا عن القرآن الكريم بعض منهجه في مخاطبة المؤمنين كافة ، فقد عبأ لهم النص بمضمونات بحجم كل التاريخ ، وساق إليهم ما يريد في أسلوبه المعجز الفذ ، دون أن يسطح الحديث تحت أي زعم من التبسيط او التيسير او إفهام الجماهير ، إن هذه الجماهير مازالت تفهم عن النص القرآني دون آية حواجز ، على ما في النص القرآني من إحالات هائلة على كل ما في الكون من أسرار ، وعلى كل ما في التاريخ من إيماءات ، وعلى كل ما في القضايا والمقولات من غوص معجز وراء التحديد !!

فإذا أردنا ان نفهم عن إسلامنا بجدارة ، فلنكن من أراد لنا أن نكون ، وإذا لم نرد أن نفهم عنه بمثل هذه الجدارة ، فلنصغ الى هذه الحكمة الجليلة التي يوشك أن يرمى بها في وجوهنا بلا مبالاة : (اللهم احمني من أصدقائي - أما أعدائي فأنا كفيل بهم) !!

فهل نقبل أن نكون أصدقاء إسلامنا الجاهلين ؟ أو أعداءه الحاقدين ؟ لا نظن أن ذلك يمكن أن يكون واردا ، لأن في وسعنا أن نجعل من صداقتنا له جسرا إلى الامتلاء العقدي والفكري والحضاري ، وأن ننازل أعداءه بكل أسلحة العصر ومتاحاته الثقافية ، وأن نفهم عنه في ضوء حكمة أولية يمكن إيجازها في أن أنجب تلاميذ أية حركة هم هؤلاء الذين يكسبون لها كل يوم أرضا جديدة ، من خلال فهمهم الحقيقي لجدل الواقع الحضاري ، وليسوا أولئك الذين يخسرون كل مواقعهم تحت مظلة الفهم الركيك لإيمانهم العقدي ، وهروبهم بالصمت ، أو بالتحجر ، أو بالعجز ، من جدل المعاصرة وحوار التاريخ !!



الفتاوى

(حكم شرب البيرة)

○ كثرت الاسئلة الواردة عن حكم شرب البيرة التي تباع في الأسواق ومكتوب عليها عبارة ـ بدون كحول ـ وعن حكم الاتجار فيها .

★ تعرف أن بعض الخبراء في التحليل قرر أن البيرة المتداولة في الأسواق ، فيها نسبة كحول ٣,٥٪ ، فاذا كان هذا التقرير صحيحا ، لا يجوز شربها ولا الاتجار فيها ولو كان قدر الكحول قليلا ، لأن المادة الفعالة في الاسكار هي الكحول كما قرر أهل الخبرة وأهل الاختصاص في التحليل ، والقاعدة الشرعية تقوم على أن ما أسكر كثيره فقليله حرام ، أما إذا ثبت أن هذا النوع من البيرة خال من الكحول تماما واطمأن قلب المسلم إلى ذلك ، فإنه يشربها ويتجر فيها ولا حرج عليه . المحظور أن يكون الشراب مسكرا .

عن جابر بن عبدالله أن رجلا من حيشان ـ وحيشان من اليمن ـ سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له ـ المزر ـ فقال أسكر هو ؟ قال نعم ، فقال : كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار وعصارة أهل النار . (رواه احمد ومسلم والنسائي) .

على المسلم ان يكون حذرا فيما يتعلق بالحلال والحرام ، ولا يخدعه قول من يقول ، إن البيرة ـ التي فيها نسبة قليلة من الكحول تفيد في الهضم وإدرار البول وغير ذلك ، فهناك في الأسواق من أنواع المشروبات الحلال ما يؤدي هذا الغرض من غير حرج أو شبهة . ومن فضل الله على عباده ان جعل لهم الوانا كثيرة من الحلال تغنيهم عن الخبيث المحرم .

(حكم القادياني)

○ بعض الطلبة من جامعة ام درمان بالسودان ورد منهم سؤال ، إذا كان القادياني كافرا فلماذا يسكت العلماء عن هذا المذهب ولا يحذرون الناس منه ؟

★ هذه الجماعة امرها شائع ذائع ، وهي تدعي أنها تتبع نبيا جاء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، واسمه « غلام أحمد » وله مبادىء تخالف شريعة الاسلام ، ويزعمون سقوط الجهاد عن المسلمين وان الجهاد المصرح به في القرآن الكريم جهاد النفس فقط ، كما يعتقدون نبوة ـ الميرزا غلام احمد ـ الذي ولد في مدينة قاديان ، وأنه نبي جاء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فمن يعتقد ذلك فهو كافر لانكاره قول الله تعالى : **(ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ..)** ..

أصحاب هذا المذهب لا تحل مصاهرتهم ولا تؤكل ذبائحهم لكفرهم الصريح .

أما دعوى سكوت علماء المسلمين عن التحذير منهم فغير صحيحة ، لأن العلماء بينوا في مؤلفاتهم وفي خطبهم ومحاضراتهم فساد هذا المذهب ، وقد قام كثير من علماء الهند ومصر والبلاد الاسلامية والمحافل الدولية بتأليف رسائل للرد على مزاعم هذه الطائفة ، كرسائل أبي الأعلى المودودى والخضر حسين وغيرهما ، هذه الرسائل مسجلة في المكتبات العامة وموجودة في المكتبات الخاصة . كما أن مجلة الوعي الاسلامي فضحت ضلال هذا المذهب ونشرت في كثير من اعدادها مقالات لكبار الكتاب الاسلاميين ، فيها بيان لكفر هذه الطائفة ، يمكن الرجوع إلى كل ذلك لمن أراد معرفة فساد هذا المذهب .

(الزوجة وخدمة زوجها)

○ ورد إلى المجلة سؤال من أحد القراء من مدينة القاهرة يقول زوجتي تقول انا غير ملزمة بخدمة البيت لأني زوجة ولست خادمة فما الحكم ؟

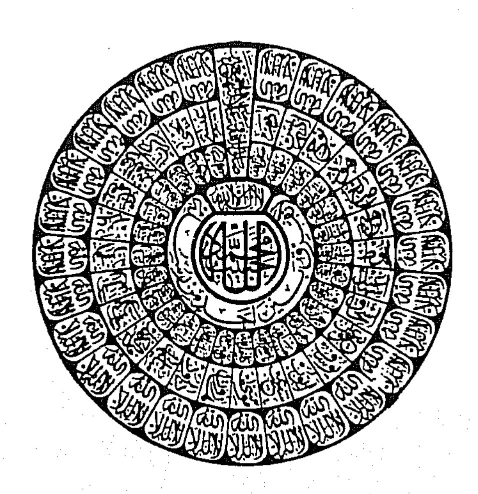
★ إذا كان الاسلام أوصى الرجال باكرام النساء ، فعلى المرأة ان تقابل الاحسان بإحسان مثله ، وأن يكافأ الزوج عطاء بعطاء ، ولذا أمر الاسلام الزوجة بطاعة زوجها والعمل على راحته ورضاه في غير معصية ، ومن الاحسان إلى الزوج أن تقوم بخدمته ورعاية اولاده فالمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها كما جاء في الحديث الشريف ، والزوجة ما دامت قادرة على خدمة البيت وتدبير شئونه لماذا تتمرد على زوج اختارها شريكة حياته وأم بنيه وبناته ؟ إن ضاقت يد زوجها عن استحضار خادمة ، عليها أن تقوم هي بخدمة نفسها وزوجها واولادها ـ فالسيدة فاطمة رضي الله عنها ، كانت تعمل في بيت سيدنا علي رضي الله عنه ، وشكت إلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة ما أثرت الرحاء في يديها فلم يقرها على ترك العمل ، بل طلب منها الصبر ومواصلة العمل ، والسيدة اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت كنت أقوم بخدمة الزبير زوجها في البيت وكان له فرس كنت اسوسه وأعلفه ، وكانت تنقل النوى على رأسها من أرض له خارج المدينة ، وبذلك امتدت خدمتها لزوجها الى خارج البيت ، ولم تقل إني بنت الصديق ولم تقل إني لست خادمة ، المرأة كما وجبت لها النفقة وجبت عليها الخدمة ، ذهب بعض العلماء إلى ان الزوجة عليها خدمة مسكنها . فان كانت شريفة المحل ليسار ابوة ـ يعني ابوها غني ـ فعليها التدبير للمنزل وأمر الخادم ، وإن كانت متوسطة الحال فعليها أن تفرش الفراش ونحو ذلك ، وإن كانت دون ذلك فعليها ان تقم البيت وتطبخ وتغسل وهذا هو ما جرى عليه عرف المسلمين ، وما يمليه التعاون المشترك لتنظيم شئون الاسرة والبيت .

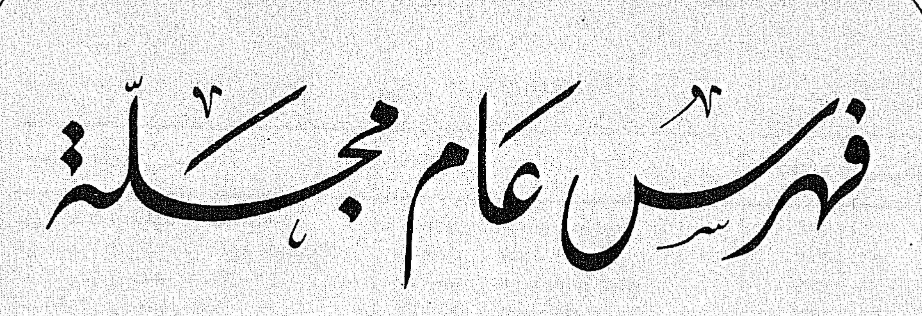
(زواج الاسرائيلية)

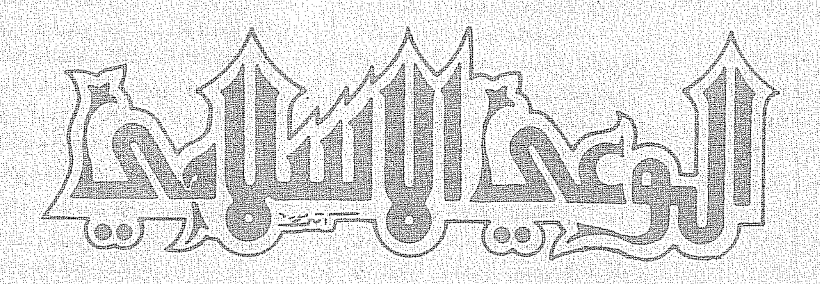
○ زهير يوسف مقيم بالكويت يسأل . نعلم ان زواج الكتابية جائز فهل ينطبق هذا على بنات اليهود في الارض المحتلة ؟

★ يرى جمهور العلماء اباحة الزواج من الكتابية لوضوح آية المائدة في الدلالة على الزواج من الكتابيات وهي آخر مانزل ، وان كان البعض يرى ان الكتابية تأخذ حكم المشركة في عدم إباحة الزواج منها ، ولكن الجمهور يفرق بين المشركة والكتابية ، ويرى ان لفظ المشركات لا يتناول الكتابيات ولهذا

يعطف احدهما على الاخر قال تعالى « **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين** .. » والعطف يقتضى المغايرة ، ولكن اباحة الزواج من الكتابية ليست مطلقة ، بل تضبطها بعض الضوابط والقيود ، منها التأكد من كونها كتابية ، فليست كل فتاة تولد من مسيحيين تبقى بالضرورة مسيحية ، قد ترضى بمذهب مرفوض في الاسلام ، ومن الضوابط ان تكون محصنة لقول الله تعالى (**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**) يعني العفيفات ـ ومن الضوابط الا يترتب على الزواج من الكتابية فتنة ، ومعلوم ان فتح باب الزواج من الكتابيات فيه فتنة على المسلمات الصالحات للزواج ، ومن الفتنة ان تؤثر الكتابية على الزوج المسلم بعادات قومها وطقوس دينها وخاصة إذا كان الزوج ضعيف الارادة ، أما الاسرائيلية من الأرض المحتلة موضوع السؤال ، فقد فرق جماعة من الفقهاء بين الذمية والحربية ، قال ابن عباس : « من نساء اهل الكتاب من يحل لنا ومنهن من لا يحل لنا ، ثم قرأ قول الحق تعالى (**ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**)فمن اعطى الجزية حل لنا نساؤهم ولا يحل لنا من لم يعط الجزية ، واليهودية لا تعطى الجزية ولكنها محاربة غاصبة مع قومها فهي محرمة ، ومن قال بالتحريم يرى ان الله جعل المصاهرة من اقوى الروابط ولا رابطة بيننا وقوم يحاربوننا ، وكيف تؤمن الاسرائيلية على اسرار المسلمين وطبيعتها الخيانة والغدر ؟ ما دامت الحرب قائمة بيننا وبينهم لا تحل مصاهرتهم فكل امرأة يهودية مجندة في جيش اسرائيل لحربنا فكيف نختار منهن أما لابنائنا وبناتنا ؟!





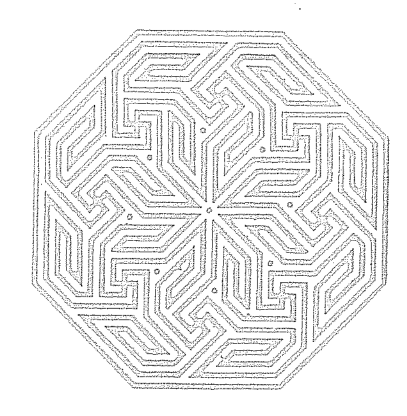


لعام

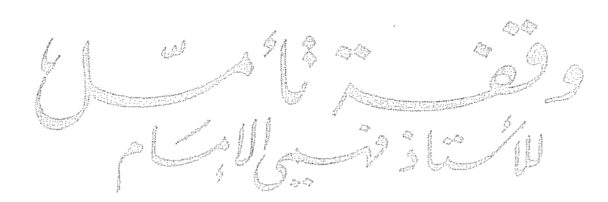
١٤٠٧هـ

السنة الثالثة والعشرون

فهرس الموضوعات



كلمة الوعي لرئيس التحرير



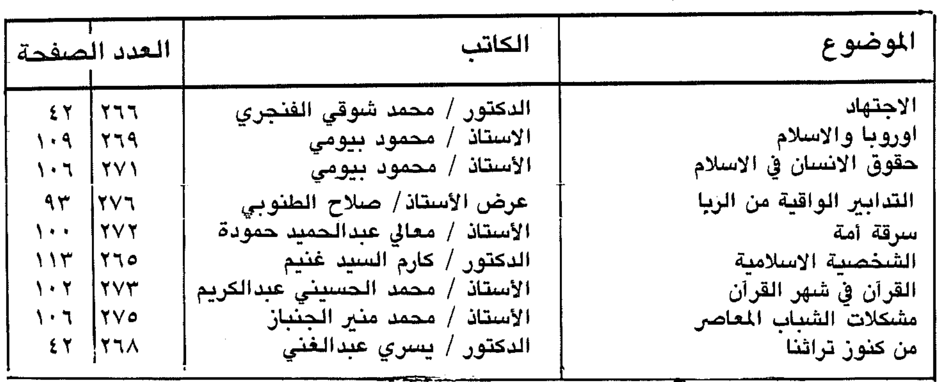


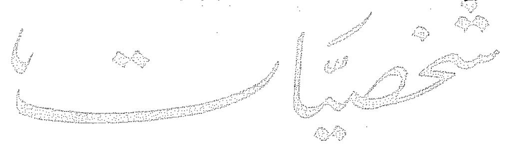
مائدة القارئ ـ للتحرير

الاخبار والصحافة ومكتبة المجلة ـ للتحرير

استطلاعات

كتاب الشهر

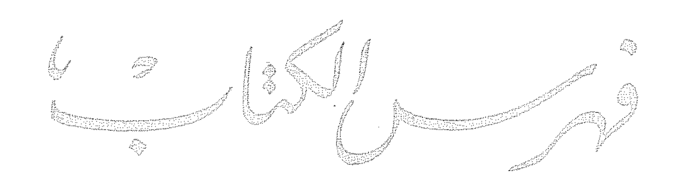





القصائد

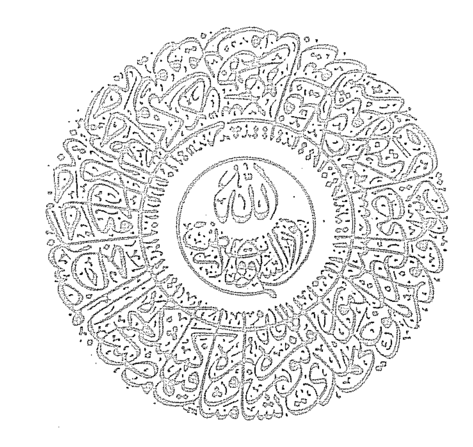

قصص ومسرحيات

الفتاوى للتحرير



اسم الكاتب	المقال	العدد	الصفحة
الدكتور / ابراهيم ابو الخشب	بلاغة الرسول	٢٧٠	٢٠
الأستاذ / ابراهيم عيسى	الاعلام الاسلامي الفرضية والكيفية	٢٦٩	٩٢
الأستاذ / ابو اسلام احمد	حوار مع أمين مجمع البحوث الاسلامية	٢٦٩	٩٦
ارستاذ / ابو المجد سليم	المسجد الأقصى ينادي (قصيدة)	٢٧٤	٩٨
الأستاذ / احمد جودة المزغوني	دور رجل الإعلام	٢٦٦	٥٨
الأستاذ / أحمد جودة المزغوني	الفتاة الأمريكية المسلمة	٢٦٧	١١٤
الأستاذ / احمد حسن القضاة	أمتنا الماجدة مريضة	٢٧٢	٦٠
الدكتور / احمد شوقي الفنجري	حاجتنا الى الأجتهاد في القضايا الطبية	٢٦٨	٢١
الأستاذ / احمد شوقي الفنجري	البلهارسيا	٢٧٥	٨٨
الأستاذ / أحمد عيسى الأحمد	تشويه سمعة الانبياء	٢٦٨	٦٥
الدكتور / أحمد علي المجدوب	التاريخ الاسلامي واهداف الغرب	٢٧٠	٣٠
الأستاذ / احمد العناني	يسألونك عن التاريخ	٢٦٥	٣٨
الأستاذ / احمد العناني	أيسر العرب (قصة)	٢٦٧	٩٩
الأستاذ / احمد العناني	الاسلام والمؤسسات المرفوضة	٢٦٩	٦٠
الأستاذ / احمد العناني	في ذمة الله (قصة)	٢٧٢	٩٥
الأستاذ / أحمد العناني	نحن والاسلام والحرية	٢٧٦	٨٨
الأستاذ / احمد متفكر	ارفعوا أيديكم عن السنة النبوية	٢٦٧	٣٠
الأستاذ / احمد متفكر	السجن في الاسلام	٢٧٢	٥٢
الأستاذ / احمد محمود أبو زيد	دار الحضانة وتربية الطفل المسلم	٢٧٤	١٨
الأستاذ / أحمد محمود مبارك	التطهر (قصة)	٢٧١	٥٥
الأستاذ / أحمد محمود مبارك	موعد مع النور (قصة)	٢٧٣	٩٤
الأستاذ / احمد المزاري	كلام في الفن	٢٦٨	١١٧
الأستاذ / احمد المزاري	إطلالة على النفس	٢٧٤	١٠٨
الأستاذ / امين محمد عثمان	أصحاب الأخدود	٢٧٢	١٩
الأستاذ / امين محمد عثمان	حكمة الأعياد في الاسلام	٢٧٤	٩٢
الدكتور / بكر مصباح تنيرة	مناهج العلم	٢٦٧	١٠٦
الأستاذ / بهيج السيد عثمان	خطورة الإدمان	٢٧٠	١٢٥
التحرير	حول مؤتمر القمة الاسلامي الخامس	٢٧٠	١٠٢
التحرير	رسالة الزكاة	٢٧٤	١١٤
التحرير	رسالة الصيام	٢٧٣	١١١
التحرير	على هامش مؤتمر القمة الاسلامي	٢٧٢	٧٠
التحرير	منظمة المؤتمر الاسلامي	٢٧٠	١٠٧
التحرير	مؤتمر القمة الاسلامي الخامس	٢٧١	٦٩
التحرير	مؤتمرات القمة الاسلامية	٢٧٠	٨٣
التحرير	الهيئة الخيرية الاسلامية	٢٧٢	١٢٥
	(بريد الوعي)		
	اليوم الوطني للكويت	٢٧١	١٠٣
الأستاذة / تماضر تهامي محمود	الحج طريق للتغيير والتقدم والقوه	٢٧٥	٤٢

اسم الكاتب	المقال	العدد	الصفحة
الأستاذ / عبدالعظيم جعفر محمد	ذكريات عن خليل الرحمن (قصيدة)	٢٧٥	٩٦
الأستاذ / عبدالغني احمد ناجي	الهجرة النبوية صمود وإصرار	٢٦٥	٤٤
الدكتور / عبدالغني الراجحي	مع سورة المؤمنون	٢٦٨	١٠
الدكتور / عبدالغني الراجحي	مع سورة الواقعة	٢٧٣	٧٤
الأستاذ / عبدالفتاح السيد	حقوق الأبناء على الآباء	٢٦٦	١٨
الأستاذ/ عبدالفتاح السيد	حقوق الآباء على الأبناء	٢٧٢	٨
الدكتور / عبدالفتاح محمد سلامة	لا عصبية في الاسلام	٢٦٥	١٢
الدكتور / عبدالفتاح محمد سلامة	حرية الكلمة من المنظور الاسلامي	٢٦٦	٢٦
الأستاذ / عبدالكريم الخطيب	نظرات في آية	٢٦٦	١٠
الأستاذ / عبدالكريم الخطيب	صاحب الجنتين	٢٦٩	٨
للأستاذ/ عبداللطيف الشكيري	الضمان الاجتماعي في الاسلام	٢٧٦	١٠٢
الدكتور / عبدالمنعم النمر	القرآن الكريم والكتب السابقة	٢٧٤	٧٣
الأستاذ / عبدالناصر عبدالظاهر	زرع الأعضاء	٢٧٤	٣٦
الأستاذ / عبدالهادي صافي	أثر القرآن في شعر حسان	٢٧٤	٨
الأستاذ / عرفات العشي	جمهورية السنغال	٢٦٨	٨٨
الاستاذ / عرفات العشي	نحن والمهتدون الى الاسلام	٢٧٤	٤٤
الدكتور / عز الدين فراج	الانفاق والادخار	٢٦٥	٥٩
للدكتور/ عز الدين فراج	الاسلام ومعاملات البيع والشراء	٢٧٦	٦٢
الدكتورة / عزية علي طه	المسلمة المعاصرة تعود للحجاب	٢٧٤	٤٩
الأستاذ / علي خليل شقرة	التآمر الشيوعي	٢٦٥	٦٩
الأستاذ / علي السيد فايد	تأديب المتعلم في المدرسة الاسلامية	٢٦٦	١٠٠
الدكتور / عماد الدين خليل	أهواء الذات	٢٦٧	٦١
الدكتور / عماد الدين خليل	الظن والإثم (مسرحية)	٢٧١	١١٤
الأستاذ / عمر بدر الدين	وتحققت الأسطورة (قصة)	٢٦٥	٦٢
الأستاذ/ عمر بهاء الدين الأميري	في يد الله (قصيدة)	٢٦٥	٦٦
الأستاذ / عمر بهاء الدين الأميري	سمعا وطاعة (قصيدة)	٢٧٢	٤٢
الدكتور غريب جمعة	الحوصلة المرارية (١)	٢٦٩	٨٤
للدكتور/ غريب جمعه	حصى المرارة	٢٧٦	٦٨
الأستاذ / فهمي الإمام	تركيا الحاضر (استطلاع)	٢٦٦	٦٨
الأستاذ / فهمي الإمام	المركز الاسلامي في باريس (استطلاع)	٢٧٠	٦٨
الدكتور / كارم السيد غنيم	الشخصية الاسلامية (كتاب الشهر)	٢٦٥	١١٣
الدكتور / كارم السيد غنيم	التفكر في المخلوقات عبادة	٢٧٢	١٢
الأستاذ / مجدي عبدالعظيم عثمان	ترجمة القرآن الكريم	٢٦٩	٦٥
الأستاذ / مجدي عبدالفتاح	الاحتكار والحد من التضخم	٢٧٥	٤٨
الدكتور / محمد أحمد العزب	الاسلام وقضية الشكل والمضمون	٢٦٦	٦٢
الدكتور / محمد أحمد العزب	أما أعدائى فأنا كفيل بهم	٢٧٦	١٠٢
الأستاذ / محمد امين الجندي	ذكرى رمضان (قصيدة)	٢٧٣	١٩
الأستاذ / محمد بدر الدين حسن	العقيدة ومنطق العمل الاسلامي	٢٦٩	٢٦
الأستاذ / محمد بدر الدين حسن	سعيد بن المسيب (شخصية العدد)	٢٧٠	٤٦
الأستاذ / محمد بدر الدين حسن	الثقافة الاسلامية والتميز الحضاري	٢٧٤	١٢
الأستاذ / محمد بدر الدين حسن	علم التناسب القرآني	٢٧٥	١٤
الأستاذ / محمد بن علي بن جبرة	هل تخدم التكنولوجيا الغربية مصالح	١٧٢	٦٥
الأستاذ محمد بن علي بن جبرة	وسائل الإعلام تغيير ام تخدير	٢٧٥	٣٦
الدكتور / محمد جمال الدين عرفة	الدين والإلحاد وقضية الحضارة	٢٧٠	٢٤
اللواء / محمد جمال الدين محفوظ	غزوة بدر الكبرى	٢٧٣	٤٢
الأستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز	المسلمون وعلم الكيمياء	٢٦٥	٩٤



اقرأ في العدد القادم
المحرم ١٤٠٨ هـ

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

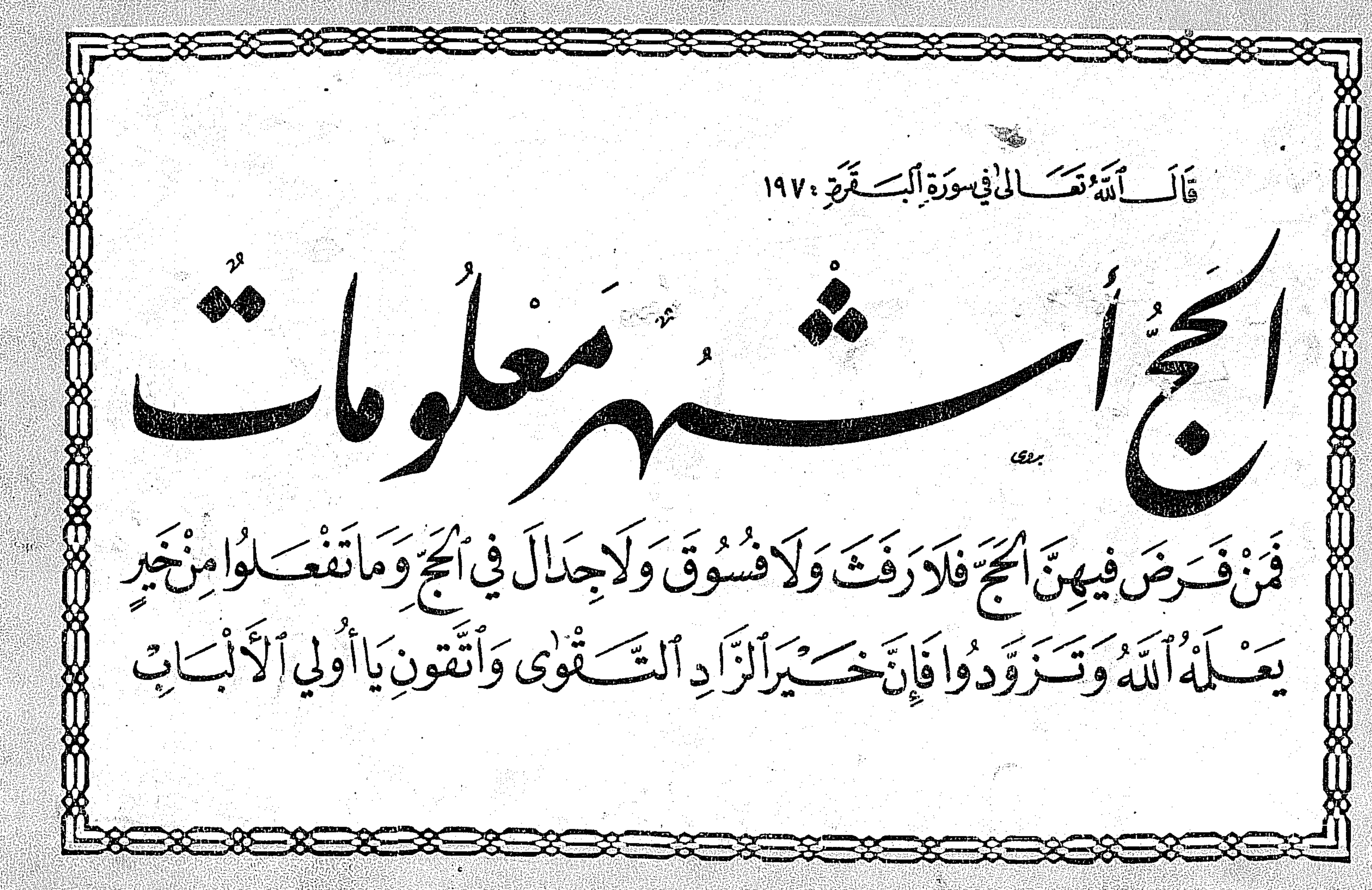
★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت ○ : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة - الكويت